المظلة الكرزية

بيستامي يازغان

دار المكتبي

بسم الله الرحمن الرحيم

مغامرات جيرين

المظلة الحمراء

بيستامي يازغان

ترجمة

الآء الجعفري - دعاء الجعفري

دار المكتبي

الطبعة الأولى
2020 - 1441

KİRAZLI ŞEMSİYE
المظلة الكرزية

Bestami YAZGAN
بيستامي يازغان

ترجمة
الآء الجعفري - دعاء الجعفري

مراجعة وتحرير مركز التعريب والبرمجة
بإشراف الدكتور غياث المكتبي - شيم حقوق

قامت دار المكتبي بترجمة هذا الكتاب الصادر عن
Nar Yayınları

جَمِيعُ الحُقُوقِ مَحفُوظَة

دمشق - الشارقة - القاهرة
دمشق هاتف 00963112248433 فاكس 00963112248432 ص.ب 31426
الشارقة هاتف 0097165512262 فاكس 0097165512264 ص.ب 3309
e-mail:daralbaraem@gmail.com almaktabi@gmail.com
www.almaktabi.com

الكرسي المتحرِّك

بمجرد دخول غولتشن الطالبة الألطف إلى الصف تبث طاقة إيجابية لمن حولها . كانت صديقة مرحة ومفعمة بالحياة . آه يا غولتشن ، كم أنت لطيفة ! مؤدبة مع الجميع ، ومجتهدة ، وصادقة ، وأمينة ، ومحبة للخير . تريد دائماً أن تتقاسم معنا كل شيء . آه يا غولتشن ، آه ! . . .

لم يكن صفنا مثل بقية الصفوف التي تخلو من الطلاب في كل استراحة . إذ لم نكن نستطيع الخروج إلى الاستراحة ، أو بالأحرى لا نرغب بالخروج من أجل البقاء مع غولتشن ؛ لأننا نخاف أن يخرج قلبها من مكانه عند خروجنا من الصف . آه يا غولتشن !

قد يبدو غريباً بالنسبة لكم أن أتحدث عن أمور جميلة وأُصدر الآهات من حين لآخر . أنتم محقُّون . إنها مثالية ، ولكن غولتشن لا تستطيع المشي . إن صديقتنا غولتشن معاقة . وهو ما يوعِّينا جميعاً بهذا ويذكرنا بمسؤولياتنا .

قبل أيام حدثتنا معلمة التربية الدينية عن الزكاة .

ومن جملها التي جعلت قلبي يخفق :

ـ أيها الأصدقاء ! لكل شيء زكاة وتخرج زكاة كل جنس منه . فزكاة النقود تخرج نقوداً ، وزكاة السعادة تخرج بمشاركتها مع الآخرين .

ثم توقفتْ معلمتُنا ونظرت نظرة عطوفة إلى الصف وتابعت كلامها قائلة :

ـ وزكاة الصحة أيضاً .

رددت بحماس قائلة :

ـ نعم يا معلمتي . وما زكاة الصحة ؟

ـ عزيزتي جيرين إن زكاة الصحة تخرج بمساعدة المعاقين .

عندها تراءى أمام عيني قدوم غولتشن إلى المدرسة بكرسيها المتحرك . وتعرق والدتها الشديد عند صعود المنحدر على طريق المدرسة . آه يا غولتشن ! لو أن كرسيك المتحرك كان كهربائياً كم كنت لترتاحي !

وفي الاستراحة خرجنا مع أمينة . كانت صديقة محبة للخير ، ومبدعة . وقد سبق وتحدثت كثيراً معها عن موضوع الكرسي المتحرك ، ولكن لم نتمكن من إيجاد حل .

ـ يا أمينة ، هل نؤدي زكاة صحتنا ؟

ـ نعم يا جيرين ، ولكن كيف نؤديها ؟

ـ إنها مهمتك أن تعرفي ذلك ، تعلمين أنك ستجدين سبيلاً لحل هذه المسألة ؟

أجابت بتردُّد :

ـ وجدت حلاً ، ولكنه صعب با جيرين !

ـ أخبريني يا صديقتي العزيزة . كيف لنا أن نعرف مدى صعوبته دون المحاولة ؟

قطَّبت حاجبيها بجدية وعضت شفتها السفلية وفكَّرت ، ثم بدأت بالشرح :

ـ انظري ، أطلقت المستشفيات حملةً ، أعلنت فيها عن نيِّتها منح كرسي متحرك كهربائي لمن يُحضر ٥٠ ألف غطاء زجاجة بلاستيكية .

عندها أنا من شعر بالقلق وقلت :

ـ ٥٠ ألف غطاء بلاستيكي .

ـ ما الذي جرى ؟ هل ثبطت همتك ؟

اغتظتُ من ذلك وقلت :

ـ لِمَ ستثبط عزيمتي ، أو بالأصح تثبطُ عزيمتُنا ؟ سننجح بهذا

الأمر إن عملنا سوياً يداً بيد ، والله أعلم .

نظرنا إلى بعضنا بعضاً وتعاهدنا . وضربنا كفينا ببعضهما كالعادة . ثم تابعت أمينة كلامها بحماس قائلة :

ـ عزيزتي جيرين ! قال أجدادنا قديماً : « في الاتحاد قوة » . وهو أمرٌ علينا إشراك الصف والمدرسة فيه أيضاً .

ولهذا ذهبنا والتقينا بأستاذنا المسؤول عن شعبة الهلال الأحمر ، حيث قدَّم لنا الدعم والتشجيع بكل سرور ، وتحدث إلى إدارة المدرسة على الفور .

وانطلقت الحملة . حيث وضعنا الإعلانات على لوحات حائط المدرسة . وبدأت تردنا العشرات من الأغطية في كل استراحة . عندها تساءلتُ بفرح قائلة :

ـ إننا نمضي قُدُماً أليس كذلك يا أمينة ؟

ـ صحيح ، ولكن لم نستطع جمع سوى ٣ آلاف غطاء خلال أسبوع . وهناك ٤٧ ألف غطاء بَعْدُ .

كانت أمينة خائبة الأمل قليلاً . ولهذا يجب عليَّ تحفيزها ؛ لأن هذا الأمر لن ينجح من دونها .

ـ أختي العزيزة ! على الرغم من كل شيء ، إنَّ جمعنا ٣ آلاف

غطاء يعد نجاحاً . والأهم هو النية في عمل جميل كهذا . لا تقلقي ستكون نتيجة هذا العمل رائعةً .

ـ أعتقد أن ما قمنا به أمر رائع ، ولكن حينما أفكِّر بـ ٤٧ ألف غطاء التي علينا جمعها . . .

ـ إذن فكري بـالـ ٣ آلاف غطـاء التـي جمعنـاهـا حتـى الآن يا عزيزتي !

وفي أثناء ذلك أتى مستخدم المدرسة وبيده كيسٌ ، وقال :

ـ يا أمينة وجيرين ! لقد جمعت لكما أغطية الزجاجات من سلات المهملات . ثم سلمناها .

كان هذا التصرف بمثابة أمل جديد بالنسبة إلينا . وبالتالي تجولنا بين الصفوف مرة أخرى . وأجرينا أحاديثَ مثيرة مع الأصدقاء . ورغم ذلك بدا لي أن تحقيق ذلك صعب بالفعل . في حين حاولت جدتي مواساتي ومساعدتي بكلماتها قائلة :

ـ يا جميلتي جيرين ! عندما يبدأ الإنسان بعمل صالح يهوِّن الله عليه الصعوبات . وحينما يتعسر عليك أمرٌ ما قولي :

« نحن نشاء والله يفعل ما يشاء ، ويختار الخير لنا » .

بعد أسبوع ، قالت أمينة بحماس :

ـ لقد جمعنا ١٠ آلاف غطاء . ولكن بقي ٤٠ ألفاً ، قالت ذلك وقد فقدت حماسها .

لقد كانت أمينة على حق . إن هذه المهمة صعبة بالفعل . ثم ردَّدت على أمينة الكلمات التي سمعتها من جدتي . ليس لها فحسب ، بل قلتها لنفسي أيضاً . . .

ـ « وأي عمل عظيم يتحقق بسهولة ؟ »

صحيح أننا كنا على وشك الاستسلام ، ولكن صورة غولتشن لم تغب عنا . آه يا غولتشن ، كم أنت لطيفة ! ليتنا نستطيع زيادة اللمعان في عينيك ، ولو قليلاً . كم سيكون جميلاً لو ظهرت الغمازات على خديك أكثر .

وبعد مرور شهر ، وصلنا إلى ٢٠ ألفاً . ولكن بقي علينا جمع ٣٠ ألف غطاء . مرة أخرى وبينما كان اليأس والإحباط يخيِّم على قلوبنا أتى أستاذنا المسؤول عن شعبة الهلال الأحمر بسرعة وقال :

ـ جيرين وأمينة تعالا بسرعة ، يريد المدير الحديث معكما .

رتبنا ملابسنا وشعرنا ومضينا وراء الأستاذ . تبادلنا النظرات باهتمام ، وأخذنا نُجيب بعضنا بعضاً بسخرية واستهزاء .

وحينما دخلنا إلى مكتب المدير رأينا شخصاً آخر . قال المدير :

ـ يا سيد علي إحسان ، هاتان هما الطالبتان اللتان بدأتا الحملة ، وعرَّفه بنا .

نظر السيد علي إحسان إلينا بمحبة وإعجاب وقال :

ـ أعزائي الأطفال ! إن ابني يدرس في هذه المدرسة . وقد أخبرني عن العمل الذي تقومون به ، وما تواجهونه من صعوبة قليلة بهذا الشأن . . .

قلت له ووجهي أحمر :

ـ نعم يا سيدي ! إن الإنجازات العظيمة لا تتحقق بسهولة .

أجاب السيد علي إحسان :

ـ صدقتِ يا ابنتي . إن واجب الكبار هو مساعدة الصغار المكافحين .

قالت أمينة :

ـ أشكرك يا سيدي .

كان المدير متلهِّفاً وغير صبور ، فتدخل بالحديث وقال :

ـ يا أصدقاء ! لقد تأثر السيد بحملتكم هذه وقرر شراء كرسي متحرك كهربائي لأختكم غولتشن .

حينما سمعنا كلامه هذا صرخنا قائلين : فليحيا ! وعانقنا بعضنا

بعضاً . وبعدما هدأ حماسنا سألنا المدير :

ـ إذن ، ماذا بشأن الأغطية البلاستيكية التي جمعناها ؟

أجاب المدير مبتسماً :

ـ ستواصلون حملتكم يا أصدقاء . هناك أطفال معوَّقين آخرين في الحي . يمكنكم إسعادهم وإدخال البهجة عليهم أيضاً .

ثم شكرنا المدير والأستاذ والسيد علي إحسان ، وركضنا مسرعين إلى غولتشن .

بعد أسبوع وخلال الاجتماع الصباحي وجهت غولتشن كلمة شكر إلى المدرسة ، وقرأتْ شعراً قالتْ فيه :

دعوة معاق

لو كان لديَّ قليل من القوة

لكنت ساندتكم

ولعبت معكم

وتشقلبت من الفرحة

لو كان بإمكاني المشي

لكنت تغلبت على العقبات بمفردي

وركضت بسرعة على طريق المدرسة

لو كان بإمكاني إيصال صوتي

لدعوت جيراني كريماً وعائشة

وتشاركنا الفرحة مثل الطيور اللطيفة

إلى إخوتي الأصحَّاء

أوجِّه دعوات معطرة برائحة الورد الذي ينمو بداخلي

وهلام عطري فواح

وأنتم ما نوع العقبات

التي تُعيقكم ؟

* * *

أمي لا تعرفني

بحماس كبير وقليل من الخوف دخلت من باب المدرسة . وعندما رأيت وجه معلمتي المبتسم زال خوفي نهائياً ، ولم أفقد حماسي حتى تعرَّفت على الأحرف الهجائية ، وسرعان ما أصبحنا أصدقاء . ثم عرَّفتني على أصدقائها التسعة والعشرين حرفاً معدِّدة أسماءَهم ؛ هذا حرف الألف ، وهذا حرف الباء ، وهذا حرف التاء . . . فقد كانت تحبهم جميعاً وهم يحبونها أيضاً .

مع مرور السنوات تطورت علاقتنا وأصبح لدينا أصدقاءُ جددٌ مثل الكتاب ، والدفتر ، وجهاز الحاسوب والمجلات وغيرها . وكان والداي سعيدين للغاية بهذا الأمر ، ويُحضران لي كتاباً أو مجلة جديدة كل أسبوع . ولا سيما مجلات الأطفال فقد أعجبت بها كثيراً . كنت أقرأ الأشعار ، ثم القصص والحكايات .

« هل تعلمون ما هذه ؟ » إنها الزاوية ، كانت تثير اهتمامي بشكل كبير .

كنت أقرؤها صباح يوم السبت . كانت تتضمن معلومات مثيرة

بالفعل . منها أن « الديوك الرومية تتعرف على صغارها من أصواتهم » . عندما قرأتها لمعت في ذهني فكرة ، لنطبق ذلك على الفور . ألم تقل معلمتي العزيزة القول التالي : « إذا رأيت نسيت ، وإذا قرأت تذكرت ، وإذا طبَّقت تعلمت » .

ثم ذهبت مباشرة إلى بيت جارتنا إيليف . فقد كان لديهم ديك روميٌّ . وبدأت بتنفيذ الفكرة مع إيليف . حيث أمسكتْ هي برأس الديك ووضعت القطن في أذنيه . وبعدما كانت تأكل الحبوب مستمتعة مع صغارها قبل قليل ، لم تعد تقترب منهم الآن . فقد كانت الفراخ تطوف حول والدتها ، ولكنها لم تكن تُعيرُهم اهتماماً كبيراً . ونحن نراقبهم ونقهقه من الضحك .

التجربة التي عندما عدت إلى المنزل أخبرت والديَّ بحماس عن قمنا بها. فنظرا إلى بعضهما بعضاً وذهبا بهدوء إلى المطبخ .

وبعد قليل سمعت صوت ضجة فركضت إلى المطبخ أيضاً . كانت أمي مغمىً عليها وأبي يرش على وجهها العطر لكي تصحوَ . وفي جميع الأحوال بدأتْ أمي تستعيد وعيها ببطء . عندها ألقيتُ نفسي بين ذراعي أمي مبتهجةً . ثم أنزلتني أرضاً ، وبدأتْ بإعداد طعام الغداء .

وكنت من شدة جوعي انتظر الطعام بفارغ الصبر . عندها أعدَّت

والدتي وجبة طعام لشخص واحد على المائدة ، وبدأت بتناول الطعام . قلت لها باستغراب : ولكن يا أمي ! ، تجاهلتني ولم تنظري إلى وجهي حتى .

مسح والدي على رأسي وقال :

ـ ربما ضربت والدتك رأسها بالأرض حينما وقعت ، وفقدت ذاكرتها . عندما قال ذلك بكيتُ بصوت عالٍ .

ـ ماذا سأفعل الآن ؟ إن أمي لا تعرفني يا أبتِ ! إذ لم تناولني ملعقة طعام واحدة ، وهي التي لا تبخل عليَّ بروحها حتى !

أجلسني والدي في حضنه وهمس في أذني قائلاً :

ـ هل تبكي صغار الديك الرومي مثلك تماماً ؟ عندها أدركت مدى فداحة الخطأ الذي ارتكبته . وتوجَّهت بسرعة إلى منزل إيليف ونزعت القطن من أذني الديك الرومي الأم . وعندما عدت إلى المنزل استقبلتني أمي بوجه مبتسم . وقالت :

ـ يا صغيرتي العزيزة ! واحتضنتني وأخذتني إلى المطبخ .

* * *

صديقتي شجرة الكينا

بزغت شمس الظهيرة على قمة المدينة . وأنا أنفخ من التعب من جهة وأمسح عرقي بمنديل ورقي من جهة أخرى ، لا أدري ما أفعله ، وأنا على هذا الحال . ثم بدأت أشكو لأمي قائلة :

ـ هناك جوانب أحبها وأخرى أكرهها في فصل الصيف .

ردت الأم مبتسمة :

ـ وأي الجوانب تحبينها أو تكرهينها يا ابنتي الذكية .

ـ أحب العطلة كثيراً ، ولكنني أكره الحَرَّ والبعوض .

أخذت أمي نفساً عميقاً وقالت :

ـ أنت محقَّة يا جيرين ، وتخيلي أن تكوني في المطبخ باستمرار .

وفي أثناء ذلك صفعتُ على ساقي ، لكن تلك البعوضة الغدّارة لدغتني بسرعة وهربت .

وعندما أصابتني التفتُ إلى والدي هذه المرة وسألته :

ـ أبي ، لن أقول شيئاً بشأن الحَرّ ، ولكن لماذا لا يجد مسؤولونا حلاً لمشكلة البعوض ؟

ـ وما الذي سيفعله المسؤولون يا ابنتي ؟ تتم مكافحتها ، ولكن ذلك لن يجدي نفعاً طالما لم يُجفَّف المستنقع .

سألته مرة أخرى متحمسة :

ـ هل هو المستنقع ، وما الحل لتجفيفه ؟

قال والدي :

ـ نعم ، هناك مستنقع عند مدخل المدينة . يأتي منه جميع البعوض ، ويصيب الناس بمرض الملاريا أيضاً .

وبمجرد أن ذكر والدي « مرض الملاريا » لمعت في ذهني فكرة . وصرختُ قائلةً :

ـ يمكن لصديقتي شجرة الكينا حل هذه المشكلة .

عندها سأل والدي باهتمام :

ـ ما شجرة الكينا ، وأية صديقة ؟

ـ لقد رأيناها في درس علم الأحياء يا والدي . حيث تزرع شجرة الكينا ، أو كما تُسمَّى بشجرة الملاريا في مناطق المستنقعات وتحل المشكلة .

فقال والدي :

ـ ما المطلوب إذن ؟

تابعتُ الكلام بحماس قائلة :

ـ علينا أن نلتقي مع المسؤولين ونخبرهم عن فكرتنا هذه .

قال والدي مبتسماً :

ـ يا ابنتي الجميلة ، ستحلين أنت هذه المشكلة ، بينما وقف رجال ضخام عاجزين عن حلها ؟

وبينما كنت أفكِّر بِمَ سأجيب أتت والدتي التي كانت تُنصت بعناية إلى حديثنا لمؤازرتي وقالت :

ـ لماذا تقول ذلك يا سيد ؟ العقول لا تقاس بالأعمار . وأنا أيضاً أؤيد فكرة جيرين .

أجاب والدي غاضباً قليلاً :

ـ مستحيل أن لا يكون المسؤولون قد فكَّروا بأمر كهذا .

ردت والدتي بإصرار :

ـ ربما لم يفكِّروا به ، إن معرفة الحل شيء والتفكير في تطبيقه شيء آخر .

قال والدي :

ـ وكيف هذا ؟

بدأت والدتي توضيح ذلك قائلة :

ـ هل بإمكانك وضع بيضتين فوق بعضهما بعضاً ؟

فكَّر والدي بالأمر قليلاً ، ثم أجاب قائلاً :

ـ لا أستطيع .

ذهبت والدتي وأحضرت بيضتين من الثلاجة . وضعت خاتمها على الطاولة ووضعت فوقه البيضة الأولى . ثم أخذت خاتم والدي ووضعته فوق البيضة ، وجعلت البيضة الثانية فوقه .

قال والدي ضاحكاً :

ـ سهل جداً ، حتى الأطفال بإمكانهم فعل ذلك .

ردت والدتي بحماس قائلة :

ـ هذا ما كنت أحاول قوله أيضاً . لربما وجد المسؤولون حلاً للمشكلة ، ولكن لم يخطر على بالهم كيفية تطبيقه .

وفي اليوم التالي ذهبت برفقة والدي لزيارة رئيس البلدية وحاكم المنطقة بعد الظهر . واقترحنا عليهم فكرة زرع أشجار الكينا من أجل تجفيف المستنقع الموجود عند مدخل المدينة . واستمع المسؤولان إلى كلامنا باهتمام وشكرونا جزيل الشكر .

وبعد أسبوع جاءت مكالمة هاتفية تُفيد بأنه سيتم تنفيذ اقتراحنا .

وفي وقت لاحق ، وجه المسؤولون الشكر لنا من خلال التلفزيون المحلي ، وأوضحوا أنني صاحبة فكرة هذا المشروع . ولم تسعني الفرحة ؛ لأنني ساهمت في مثل هذا المجال .

ومنذ ذلك اليوم بدأ أصدقائي وأساتذتي في المدرسة ينظرون إليَّ كأنني عالمة . ومع ازدياد اهتمامهم بي ازداد تعلُّقي أيضاً بالمدرسة والعلم .

وبعد بضع سنوات ، جف المستنقع المولِّد للبعوض وأصبح مكاناً جميلاً للنزهة . أذهب إليه دائماً في الصيف وأشكر صديقاتي أشجار الكينا . وبالطبع هم أيضاً يبادلونني نفس الشعور .

في حين لم يكن البعوض وحده مستاءً من تنفيذ مشروعي هذا . فقد عبَّروا عن مشاعرهم تلك بسبب عجزهم عن زيارتي مرة أخرى . وأنا أيضاً افتقدتهم كثيراً على ما يبدو !

* * *

جلاءاتي المدرسية المحبوبة

بمجرد دخولي إلى المدرسة أحببتها على الفور . ومع تعلمي للأحرف بدأت أعشق القراءة ، ولكن عندما وصل الأمر إلى أداء الواجبات المنزلية فقد استصعبتها قليلاً ؛ لأنها كانت مملَّة بالنسبة إليَّ .

في يوم من الأيام وحينما أخبرت جدي عن رأيي هذا ، قال : « من لا يزرع لا يحصد يا عزيزتي جيرين » . فنظرت إليه بعيون متسائلة ، حيث لم أفهم أيَّ شيء مما قاله .

ثم أخذني جدي في حضنه ، وبدأ بتوضيح كلامه وهو يمسح شعري قائلاً :

ـ يا حفيدتي الجميلة ! إن الفلاح يحرث الحقل أولاً، ثم يضع البذور ويضيف السماد. وهو يتصبب عرقاً أثناء قيامه بهذا كله ـ بعدها يجلس ويستريح أليس كذلك يا جدي العزيز ؟ تابع جدي المسح على شعري ، وقال :

ـ لا يا عزيزتي ، لم يحن وقت الراحة بعد . لقد أتى فصل

الصيف ، واصفرَّت السنابل . لتدخل الحصادة إلى الحقل فيما بعد . ويبدأ ملء الأكياس في الحقل بالقمح . وبيده يداعب الفلاح القمح ويضعه في داخل الكيس . عندها يبتسم الفلاح وينسى كلَّ تعبه .

ـ ولكن لم أفهم ما العلاقة بين الواجبات المنزلية والحقول والحصاد يا جدي ؟

ثم تابع جدي الكلام بعدما أنزلني من حضنه وأجلسني مقابله ، وقال :

ـ ما لم تفهميه في هذا يا عزيزتي جيرين ! هو أن تذهبي إلى المدرسة مهما كانت الظروف الجوية ، وأن تدرسي ليلاً ونهاراً . وعندما يحين موعد الحصاد ترتاحين .

ـ ولكن يا جدي ! في المدرسة هناك وقت للدراسة ، ووقت للاستراحة ، ووقت للعطلة ، ولكن ليس هناك وقت للحصاد .

عندها بدأ جدي بالضحك وقال :

ـ إن وقت الحصاد في المدرسة هو موعد توزيع الجلاءات يا حفيدتي الجميلة ! انظري لقد أصبحتُ عجوزاً ، وما زلت احتفظ بجلاءاتي . ألا تحتفظين بها أيضاً ؟

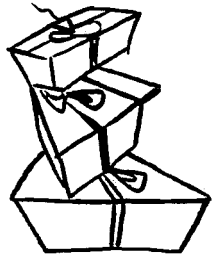

وبمجرد أن أنهى جدي كلامه ركضت بسرعة وذهبت إلى غرفة

الدراسة . وجلبت جميع جلاءاتي . وناولته إياها وقلت :

ـ انظر جميعها هنا .

وأثناء اطِّلاع جدي على العلامات التي أخذ يتفحصها بعناية شديدة ، كان يتمتم قائلاً :

ـ ما شاء الله ، سبحان الله .

في حين كنت أراقبه من جهة ، وانظر إلى جلاءاتي بمحبة من جهة أخرى . وبعدما اطَّلع جدي على جلاءاتي جميعها أخذني إلى حضنه مرة أخرى وقبَّل وجنتي وقال :

ـ أحسنتِ يا حفيدتي ! جميع علاماتك ممتازة كما احتفظتِ بجلاءاتك أيضاً .

وعلى بالرغم من مرور سنوات كثيرة ، فقد ازداد حبي لجلاءاتي التي تشعرني بسعادة وفرح كبيرين ؛ لأنها لم تخذلني على الإطلاق . في الحقيقة أنا أيضاً لم أخذلْها . قد تسألون لماذا ؟ وأي جلاء يرغب بأن يكون مليئاً بعلامات متدنِّية .

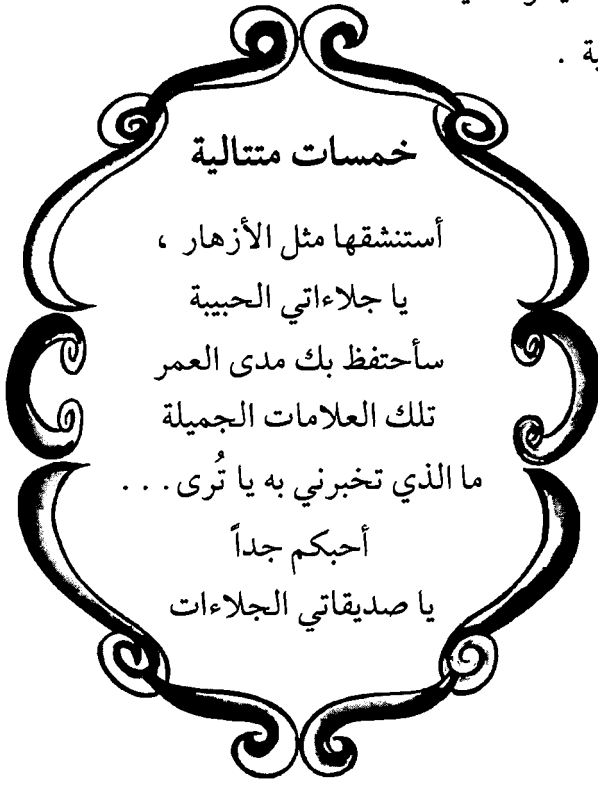

الدُّعسوقة

كلما دخلت الصف أشعر كأنني أريد أن أغرد كالعصافير . لا سيما عندما أكون مع صديقتي الوحيدة في المقعد أيبوكه . حيث نغرد معاً بشكل رائع خلال الاستراحة ، وفي بعض الأحيان تستمر فرحتنا هذه أثناء الحصص الدراسية . وعندها تتعقَّد الأمور .

دخلنا إلى الصف ، وكان المعلم يشرح إحدى المسائل بانفعال وهو ممسك بالطباشير . وأثناء درس الرياضيات كان ينشغل بالكتابة كثيراً على السبورة . وبعدما يشرح لنا بعض العبارات ، يدير ظهره ويبدأ بالكتابة على السبورة ، مسائل الضرب والقسمة والجمع والطرح . . . . ولكن بعد مرور فترة قصيرة نشعر بالملل . في تلك الأثناء همست أيبوكه في أذني قائلة :

ـ انظري إلى النافذة ، انظري . . .

نظرت إلى النافذة ، ولكنني لم أرَ شيئاً ، قمت بتحريك عيني كأنني أريد أن أقول لها : « ماذا يوجد هناك ؟ » .

ـ هنالك دُعسوقة جميلة على الستارة .

بعدما قالت ذلك قامت بإحضار الدُّعسوقة في كفها . تابع المعلم شرح الدرس ، ولكننا كنا نسمع صوته فقط دون الانتباه للدرس . في جميع الأحوال لدينا حشرة الدُّعسوقة .

قالت أيبوكه :

ـ انظري ، يوجد نقاط سوداء جميلة على سطحها حمراء اللون .

ـ أعطني إياها ، أريد أن أربت عليها أيضاً .

قلت لأيبوكه عندما أعطتني الدُّعسوقة :

ـ لِنَتمنَّ أمنية ما !

أغمضنا أعيننا ، ثم كتبنا الأمنية على دفاترنا . يا إلهي ! لقد تمنينا الأمنية نفسها وهي : « أن لا نبتعد عن بعضنا أبداً » . قمنا بمعانقة بعضنا بعضاً . وفي تلك اللحظة قام المعلم بالنظر إلى الصف . ثم اقترب منا بهدوء ، ونظر إلى دفاترنا بطرف عينه . وعندما رأى أننا لم نكتب ما كُتب على السبورة تغيَّرت تعابير وجهه ، وأدار ظهره وذهب باتجاه طاولته . بعدها نظر إلينا وبدأ بالكلام :

ـ أيها الأطفال ! قام شخصان اثنان بمعانقة بعضهما بعضاً يريدان سلوك طريق معين ، ولكن لن يستطيعا القيام بذلك .

ما رأيك يا جيرين ، ما الذي علينا فعله في هذه الحالة التي أتكلم عنها ؟

احمرَّ وجهي ، وازدادت نبضات قلبي ، وانتظرت قليلاً ، ثم قلت :

ـ من الممكن أن يسلكوا ذلك الطريق منفصلين عن بعضهم بعضاً . . .

ـ إن استخدمنا تعابير رياضية ، فيجب علينا أن نقسم على اثنين ، أليس كذلك ؟

ـ نعم أيها المعلم .

ـ أطفالي الأعزاء ! إذا كان مرور شخصين من باب واحد مستحيل فإن مرور شخصين من باب النجاح غير ممكن أيضاً . لذلك ألا يجب الفصل بين صديقين يُعيقان بعضهما بعضاً عن النجاح ؟

قال تلاميذ الصف بصوت واحد :

ـ نعم أيها المعلم .

لقد قاموا بالتصويت ، وتم التوافق على القرار . بينما كنت أنتظر بفضول لمعرفة ما سيحدث ، أشار المعلم إلى المقعد الأول ، وقال بصيغة الأمر :

ـ تفضلي إلى هنا يا جيرين .

امتلأت عيناي بالدموع ، وشعرت كأن شيئاً يمزق قلبي . إنني أبتعد عن أيبوكه . . . رغم أننا تمنينا عدم حدوث ذلك وحلمنا أجمل الأحلام . جمعت أغراضي في حقيبتي مضطرة وذهبت إلى جانب الطالب أوغور البغيض وغير المحبوب . وجلست بجانبه أنتظر أن تعطيني حشرة الدُّعسوقة بعضَ الحظ . كان الجلوس بجانب أوغور المغرور الذي لا يشاركنا أي شيء هو أكبر عقوبة من الممكن أن يتلقَّاها إنسان . هل أستحق ذلك حقاً ؟

إن الوقت يمر بسرعة كأنه طائر أو صاعقة . ولكن هذه القاعدة تنطبق فقط على الأيام الجميلة ، وليس على الأيام التي يوجد فيها أوغور .

على أي حال ، يعتاد الإنسان على وضعه وإن كان يشعر بالملل ، ولكن لن يزيد همُّه هماً !

بينما كنت ألعب الكرة الطائرة في حصة التربية البدنية ، قمت بضرب الكرة بقوة وطريقة غير صحيحة ؛ مما أدَّى إلى كسر اثنين من أصابعي . وعلى الفور قام الدكتور بتجبير يدي . . . وفيما يتعلق بذهابي إلى المدرسة فسأكون مثل تمثال عرض الملابس . أستمع إلى الدرس فقط دون أن أقوم بكتابة أي شيء . ما أجمل ذلك ! سيكون الأمر مثل الخيال لولا وجود الامتحانات !

كل هذا حدث بسببك يا أوغور ذو الحظ السيِّئ . منذ أن بدأت الجلوس بجانبك وأموري تسير على نحو خاطئ . . .

كانت الحصة الأولى هي مادة الرياضيات . حيث يتصرف المعلم مثل الآلة ؛ يشرح ويكتب . . . وأنا أقوم بالمشاهدة فقط . سيكون هناك فحصٌ كتابي خلال الأسابيع القادمة أيضاً . يا إلهي كيف سيكون وضعي ؟

بينما كنت أفكِّر بمشاكلي ، قام أوغور بالالتفاف نحوي متبسِّماً ، وهمس في أذني قائلاً :

ـ يمكنني أن أكتب ما يشرحه المعلم على دفتري ودفترك أيضاً .

ما هذا ؟ هل أرى حلماً ؟ أوغور ذو الحظ السيّئ سيقوم بمساعدتي ! يا لها من حيرة ! أخذ أوغور دفتري وبدأ بالكتابة دون أن ينتظر موافقتي . إنه لا يقوم بذلك بحصة الرياضيات فقط ، بل بجميع الدروس .

لم يقتصر الأمر على ذلك أيضاً ، حيث قام أوغور بترتيب حقيبتي في نهاية الدوام المدرسي ، ولأنني لن أستطيع رفع حقيبتي على كتفي قام بمساعدتي في ذلك أيضاً .

استمر أوغور بتقديم المساعدة لمدة ثلاثة أيام . . . وأنا أقول لنفسي دائماً : كلا ، كلا هذا ليس بحلم ، إنه حقيقة .

ثم حدث ما حدث في اليوم الرابع . حيث قام أوغور بمساعدتي مجدداً ووضع حقيبتي على كتفي في نهاية الدوام المدرسي . ونظر إليَّ بنظرات لطيفة ، وقال : « إلى اللقاء » قلت له بطريقة عفوية أو كأنني أريد أن أعتذر منه :

ـ شكراً يا حشرة الدُّعسوقة خاصتي !

واتجهت إلى الباب . صاح أوغور مندهشاً :

ـ ماذا ، ماذا قلتِ ؟!

التفت مجدداً وقلت بصوت مرتفع من أجل أن يسمع جميع طلاب الصف :

ـ شكراً يا حشرة الدُّعسوقة خاصتي . . .

اقتربت أيبوكه من أوغور بينما كنت أخرج من الصف . وبدأت تشرح له شيئاً ما بانفعال . ثم ارتفعت أصوات الضحك من خلفي . عندها شعرت كأن الهموم التي على كتفي وقلبي قد اختفت . لم أعد أشعر حتى بألم أصابعي المكسورة . . .

وفي المساء جلست في سريري ، وأنا أشعر بشعور جميل . ولم أستطع النوم بسبب الشِّعر الذي أفكِّر فيه . ماذا يجب عليَّ أن أفعل ؟ نهضت من السرير ، وبدأت بكتابة هذه الأبيات الجميلة في دفتر مذكراتي :

الأجراس وأصدقائي

على أطراف الطرق
المؤدّية إلى المدرسة هم أصدقائي
مع اللغات التي يصدر منها
صوت الأخوّة هم أصدقائي

أحب جداً نبشه ،
وأوغور ، وألبير ، وعائشة
ولن أنسى منيكشه
كالأزهار هم أصدقائي

المتفوّق دهليك ،
والمحبة للخير ملك ،
والمميّزة عندي بينيك ،
كالعسل هم أصدقائي

مهرانش أنيه بالنشاط ،
وآيتاش مثل الطيور . . .
على شجرة صفنا
كالأغصان هم أصدقائي

بدران المولع بكرة السلة ،
ودهقران العاشق لكرة القدم . . .
كالأجراس الداعية للخروج إلى الاستراحة
هم أصدقائي

أعتذر يا صديقي

سعادة كبيرة تغمرني ؛ لأنني بدأت أحب كتابة الواجبات المنزلية مثل حبي للمدرسة والدراسة . وبالطبع لن أنسى أبداً ذلك الصديق الذي حبَّبني في الواجبات . فقد كنت أقول وهو يكتب . كما كان يشاركني التفكير . وإن أطلتُ مدة الاستراحة التي أخذها عندما أتعب ، كان يقرع الجرس الموجود على رأسه ، ويحذِّرني بلطف قائلاً :

ـ لقد انتهت الاستراحة يا آنسة جيرين ، أكملي واجباتك !

وفي بعض الأحيان كنت أكسره من شدة الغضب ، بينما هو لم يكسرني ولا مرة . ورغم ذلك يواصل الكتابة وهو منكسر ومحطم . وقد يباغتني النعاس ، أما هو فلا يشعر بالنعاس أبداً . وحينما أغضب من بدئه الكتابة بخط سميك مجدداً أخرج المبراة وعلى الرغم من تعرُّضه للأذى والضرر أثناء بري رأسه بالمبراة ، فإنه لا يتفوَّه بأي كلمة ولا يشتكي .

وكلما شعرت بالحزن عندما أخطئ بالكتابة تُسرع صديقته المِمحاة لمساعدتي ، وتقول :

ـ لا تحزني يا أخت جيرين ! سأزيل تلك الأخطاء على الفور .

كانت المِمحاة صديقة هادئة وحنونة . تذوب وتتلاشى ببطء أثناء مَحيها للأخطاء ، دون أن تشتكي أو تتذمَّر وبالتالي

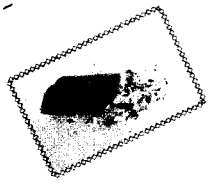

سيتبين لكم أن أواصر صداقتنا مع قلم الرصاص والمِمحاة تسير على ما يرام ، حتى جلب لي عمي قلم حبر متعدد الألوان . والذي حصل في ذلك المساء أنها كانت المرة التي أرى فيها قلماً كهذا . كانت ألوانه مثل قوس قزح : أضغط على الزر فيظهر اللون الأحمر ، وأضغط على زر آخر فيظهر اللون الأخضر ، في حين كانت الرؤوس الأخرى تخرج اللون الأزرق ، والبنفسجي ، والأصفر.

ومنذ ذلك الحين بدأت أكتب واجباتي المنزلية باستخدام قلم الحبر . كانت سعادتي لا توصف . فقد أصبحت واجباتي جميلةً ومميَّزةً .

قلت له :

ـ أين كنت قبل الآن ، تعجبني ألوانك . ثم قبَّلت القلم من رأسه .وفي أثناء ذلك سمعت صوت نقرة .

كان قلم الرصاص تدحرج ووقع على الأرض .

على كلٍّ حال ، كان تركيزي منصبّاً على

الواجبات المنزلية . إضافة إلى ذلك ، لدي قلمي الجميل ثم بدأت الكتابة. وجعلت العناوين باللون الأحمر ، والأرقام المتناسقة باللون الأزرق ، أما الفقرات فقد كتبت كلَّ واحدة منها باللون الأخضر ، والأصفر ، والبني . ثم قلت :

ـ وأخيراً تخلَّصت من المحي بالمِمحاة .

ورأيت المِمحاة تقفز إلى جانب قلم الرصاص . ثم انزوى كلاهما يديران ظهرهما لي .

قلت لهما :

ـ ماذا إذن ؟ اغضبا كيفما شئتما ، وتابعت كتابة واجباتي .

وفي الصباح ذهبت بحماس إلى المدرسة . وعند دخول المعلِّمة إلى الصف صرخت قائلةً :

ـ الواجبات المنزلية يا معلمتي .

لكنَّ كلَّ حماسي وفرحتي ذهب سدىً ؛ لأن المعلمة لم تعجبها واجباتي . وحذرتني قائلةً :

ـ إن كتبت الواجبات المنزلية بقلم الحبر ستضطرين عندها إلىالشطب على الكلمات

وبعد انتهاء الدوام عدت بخجل وخنوع إلى المنزل . ثم جلست على طاولة الدراسة وبدأت أنفخ ، بينما كنت أنظر بطرف عيني إلى

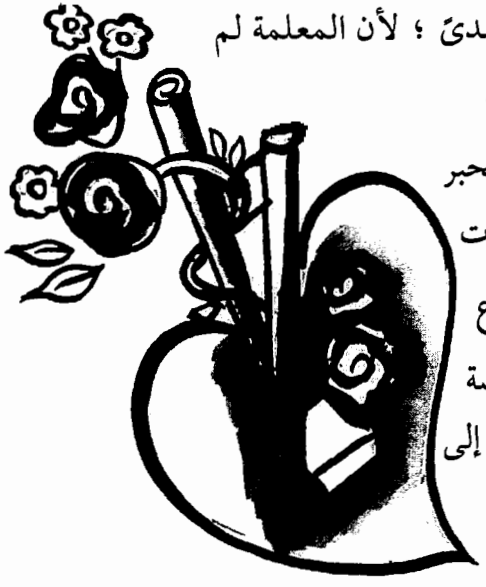

قلم الرصاص والمِمحاة . ولكنهما لم ينظرا إليَّ على الإطلاق . عندها سألني قلم الحبر الذي رأى مزاجي المضطرب وانزعاجي بهدوء عن سبب ذلك . وشرحت له ما جرى . قال لي :

ـ إن المعلمةً محقّة ً يا أختى جيرين . يمكنك استخدامي في كتابة العناوين والتنسيقات ، ولكن عليك كتابة الفقراتَ بقلم الرصاص .

ـ لقد فهمت ، ولكن ماذا سأفعل الآن ؟ لقد أثرت غضب رفاق العمر واستيائهم عندها همس قلم الحبر في أذني قائلاً :

ـ إن رفاق العمر لا يخاصم بعضهم بعضاً ، وعندما يحدث ذلك يعتذرون من بعضهم على الفور .

وبناءً على ذلك ذهبت إلى أصدقائي ، وقلت لهم :

ـ يا أعزائي الرائعين ! أعتذر منكم ، لا أستطيع العيش من دونكم .

عندما سمع قلم الرصاص والمِمحاة كلامي هذا استدارا إليَّ ، وقالا :

ـ ونحن أيضاً لا نستطيع العيش من دونك يا جيرين . ثم أخذتهما من مكانهما ووضعتهما على الطاولة . وبالطبع لم أنسَ تقبيل وجنتيهما قبل وضعهما هناك . ومنذ ذلك اليوم لم نُحزن بعضنا

بعضاً مرة أخرى . كما أصبح كلٌّ من قلم الرصاص والمِمحاة بسرعة أصدقاءً مع قلم الحبر .

وبعد الانتهاء من واجباتي المنزلية ، كتبت في دفتر يومياتي ما يلي :

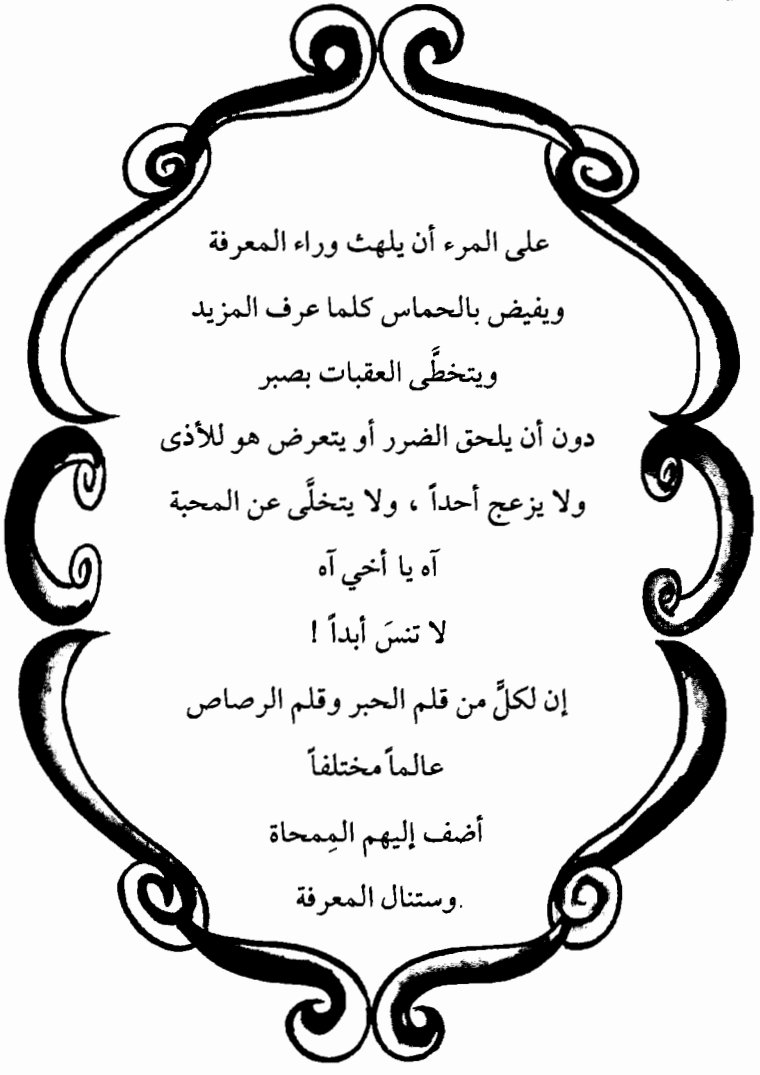

هدية عيد المعلم

في كلِّ مرة أرى فيها معلمتي أصبح مفعمة بالحيوية والحماس . فأجمل الورود في العالم تزهر على خدها ، وشمس المحبة المتلألئة في عينيها ، ودفء المشاعر في قلبها ، ولا سيما المعلومات المُخبأة في ذهنها ، والتي لا يعرفها أحد سواها . . . فهي تحيطني بهذا الجمال كله . أتمنى أن أكون طائراً وأحط على غصنها . وأن أصنع من ورود العالم تاجاً أضعه على رأسها .

أقبل عيد المعلم . وهو فرصة رائعة لكي أعبِّر فيه عن حبي لمعلمتي ، ولكن ما الذي عليَّ فعله ، وما نوع الهدية التي يجب أن أشتريها ؟ ينبغي أن تكون هديتي هي الأجمل . . . وبهذه الأفكار ذهبت على الفور إلى صديقتي إيليف ، لكي أناقش معها هذا الموضوع قليلاً ، ربما أجد فكرة جميلة . سألتها :

ـ إيليف ! ما الهدية التي تنوي شراءَها لمعلمتنا في عيد المعلم ؟

صمتت إيليف ، وأبعدت شعرها للخلف ، وبعد قليل أضاء وجهها وعيونها كلون العسل . وقالت :

ـ إن معلمتنا تحب شرب القهوة كثيراً . ولهذا سأشتري لها طقم فناجين قهوة .

ـ يا لكِ من فتاة ذكية يا إيليف ! ستتذكرك كلما شربتْ فنجان قهوة . حسنٌ ، ماذا سأفعل ؟ يجب عليَّ شراء هدية من هذا القبيل . . . وأثناء تفكيري بالأمر صرخت صرخة ، وبدأت بالشرح قائلة :

ـ حسنٌ ، وأنا أيضاً سأشتري كنزة لها ، يكون لونها أزرقَ فاتحاً أيضاً . سيلائم معلمتنا للغاية . كما أن الشتاء قد حلَّ . وبذلك سترتديها معلمتي كل يوم .

يمر الوقت بسرعة والعيد غداً . لهذا ذهبت مع والدتي إلى السوق . وبعد جولتنا على المحلات وجدنا الكنزة التي نبحث عنها ، وغلَّفناها بشكل جميل ، ثم عدنا إلى منزلنا .

في المساء ، وبعدما أنهيت كتابة واجباتي المنزلية نمت قريرة العين مرتاحة البال . إن النوم بهدوء وسلام أمر رائع لولا صعوبة الاستيقاظ صباحاً . وبالطبع انتابني الخوف . وعندما لم أستطع الاستيقاظ في الوقت المناسب ذهبت إلى المدرسة على عجل دون أن أتناول فطوري .

دخلت معلمتنا إلى الصف . وعندما صاح جميع الطلاب في آن

واحد : « عيد سعيد يا معلمتي ! » أدركت الأمر . ثم توجَّه أصدقاؤنا بالترتيب ، وقبَّلوا يد معلمتنا وقدَّموا لها الهدايا . حيث تحولت الطاولة أمامها إلى حديقة زهور ، مثل قلب جميل وخد وردي تماماً .

وبينما كان الأصدقاء يقدِّمون الهدايا تدريجياً انسحبت إلى الصف الخلفي ، أو بالأحرى حاولت التخفِّي . لماذا ؟ لأنني نسيت هديتي أثناء خروجي بسرعة في الصباح . آه من عقلي الأحمق ! كيف أفعل أمراً كهذا ؟ ثم صحوت على صوت معلمتنا تقول :

ـ يا أعزائي الأحبة ! أشكركم جزيل الشكر على هداياكم هذه . إن أجمل هدية في حياتي هي أن أكون معلمتكم . كما أشكركم على السعادة التي منحتموني إياها . وأود أن أوجِّه الشكر الأكبر إلى صديقتنا جيرين .

وبدلاً من الضيق الذي انتابني قبل قليل حل محله دهشة كبيرة . ما الذي تقصده معلمتي ؟ أم أنها تريد السخرية مني لأنني لم أقدِّم لها هدية ؟ مستحيل أن تفعل معلمتي شيئاً من هذا القبيل . إذن ما الذي تقصده ؟ وفي أثناء تفكيري بهذه الأمور كلها تابعت معلمتي الكلام قائلة :

ـ إن كنتم تتذكرون فقد أعلنتُ عن مسابقة شعرية عن المعلِّمين

قبل شهر . وقد كتبتم حينها قصائد جميلة . كما اختيرت قصيدة صديقتنا جيرين القصيدة الأولى على مستوى المدرسة وأُرسلت إلى مديرية التربية والتعليم في المقاطعة . وعند قدومي إلى المدرسة في الصباح استدعاني المدير وأخبرني بالنتيجة وهنَّأني .

عمَّ الهدوء في الصف ، ولكن كان قلبي يخفق بسرعة كبيرة . ماذا تقول معلمتي ؟ أم أنني . . .

ثم تابعتْ معلمتي قائلةً :

ـ نعم يا أصدقاء ، لقد نالت صديقتكم جيرين المرتبة الأولى على مستوى المقاطعة بالقصيدة التي كتبتها . كانت هذه أعظم هدية أحصل عليها يوم عيد المعلم في حياتي .

وبعد إنهاء معلمتنا كلامها دوَّى تصفيق حاد في الصف . وأصدقائي يهنِّئوني بفوزي من جهة ويقبلوني بمحبة من جهة أخرى . وعند انتهاء فترة التهنئة سألتْ معلمتي :

ـ يا عزيزتي جيرين ، ألا تريدين قراءة أجمل هدية في حياتي ؟

وبسرعة أخرجتُ دفتر اللغة التركية وبدأت أقرأ القصيدة :

الأزهار تتفتح في الصف

إن الحب مثل نسمة هواء عليلة

تداعب شعري

تهبِّين مثل نسمة كلما دخلتِ إلى الصف

وبسرعة تأخذين الطباشير البيضاء . . .

تزيِّنين السبورة بالرسوم ، والأشكال ، والكلمات

قلبُكِ الطاهر

محور هذا الحب

تبتسمين قليلاً

فتتفتح الأزهار في الصف

قبلاتك الحارة

ما زالت عالقة على خدودنا

تفكِّرين

وتحلمين بنا دائماً

بمجرد انتهاء القصيدة دوَّى تصفيق حاد مرة أخرى . وأتت معلمتي إلى جانبي وقبَّلتني على جبيني ، وأنا أيضاً قبَّلت يديها . وفي أثناء ذلك قُرع باب الصف . فقالت معلمتنا :

ـ تفضل ، وفتح الباب ببطء ، ودخل والدي العزيز إلى الصف ومعه الهدية ، وقال :

ـ أعتذر أيتها المعلمة ، لقد نسيتْ جيرين إحضار هديتها . ثم قدَّم لها الهدية .

ابتسمت معلمتنا مبتهجة وقالت :

ـ أشكرك أيها السيد ! لقد قدَّمت ابنتي جيرين هديتَها قبل قليل .

وعلى الفور ركضت نحو والدي وهمست في أذنه وأخبرته أنني حصلت على المرتبة الأولى في المسابقة . عندها عانقني والدي مسروراً ، وقال :

ـ يا ابنتي جيرين .

في الحقيقة إن أجمل هدية في هذا اليوم لم تعطَ للمعلم ، بل أُعطيت لي . أشعر كأن العالم بأكمله أصبح ملكي . وجددتُ الحب في داخلي مرة أخرى بتلك المشاعر التي اعترتني : معلمتي ، أصدقائي ، أمي وأبي أحبكم جداً .

* * *

رحلة إلى بحر الأرقام

اعتدت دائماً أن أمنح نفسي قسطاً من الراحة أثناء الدراسة في المنزل . وبمجرد أن تبدأ أجلس على الفور أمام النافذة ، أشاهد ما يجري في الخارج . حتى أصبحت طيور الصباح ونجوم الليل أصدقائي . وها أنا أقف أمام النافذة مجدداً ، أجري حديثاً مع العصافير ، وأقول لهم :

ـ اشكُروا الله على ما أنتم فيه من النعم أيتها الطيور الجميلة . يمكنكم الطيران كيفما تشاؤون ، وتذهبون حيث شئتم . عليكم أن تقدِّروا قيمة أجنحتكم هذه .

رد العصفور الذي سمع كلامي وهو يرفرف بجناحيه ويطير قائلاً :

ـ نعم ، نعلم هذا .

ثم بدا كأن أصوات رفرفة الأجنحة آتية من داخل الغرفة . وعندما التفتُ ورأيتُ ما يحدث فوجئتُ جداً . حيث فتحت صفحات كتاب الرياضيات الموجود على الطاولة ، كأنها

تستعد للطيران . وأخذتْ تنادي عليَّ :

ـ يا عزيزتي جيرين ! إن كنت تريدين الطيران حقاً فسوف أساعدك في ذلك ، وأخذك إلى أي مكان ترغبين .

بفضول سألت : ـ إلى أين ستأخذني ؟ ثم انقلبت صفحات الكتاب تلقائياً وصدر صوت من ليونة الورق قائلاً :

ـ أمسكيني بيدك وأغمضي عينيك . سأخذك إلى بحر الأرقام .

بمجرد أن فعلت ما قاله شعرت كأنني أطير بالفعل . وتطاير شعري في الهواء ، بينما كانت الغيوم تقبِّل وجنتي بشفتيها الرطبتين .

وبعد أن حلَّقنا قليلاً قال لي :

ـ يمكنك فتح عينيك الآن . انظري ، لقد وصلنا إلى بحر الأرقام .

عندما فتحت عيني لم أستطع تصديق ما أرى . كان البحر شديد الزرقة . .

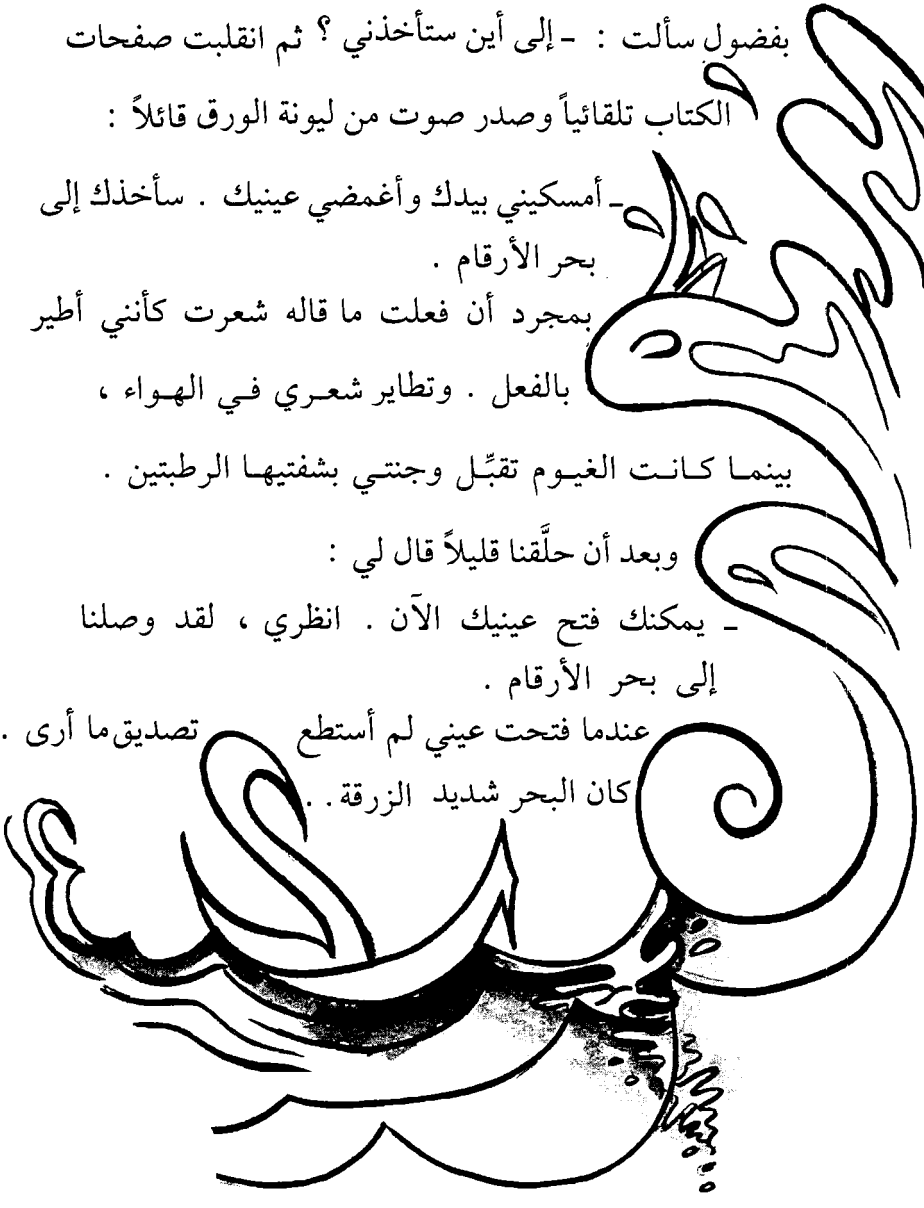

وإلى الأمام قليلاً كان الرقم واحد ـ أكثر الأرقام التي أستخدمها ـ يسبح ويقف مثل سمك الأنشوجة . ولو رأيتم الرقم (٢) لفوجئتم .

كان يخرج رأسه من المياه مثل الدلفين ، ويشق طريقه في البحر . أما الرقم (٣) فكان مستلقياً على ظهره مثل الزورق . في حين كان الرقم (٩) يبذل قُصارَى جهده حتى لا يغرق بسبب وزنه الزائد . ولكن لم أستطع التحمل أكثر من ذلك ، وغطست في مياه البحر . أعلِّم الأرقام (٤ و٥) السباحة بينما كان الرقمان (٦ و٧) يساعداني .

أما الرقم (٨) فكان ينتظر على الشاطئ وبيده المنظار للمراقبة . فقد كان حارس الشاطئ .

حيث يرمي الرقم (٠) كطوق نجاة نحو الأرقام التي تعرضت لخطر الغرق . وفي أثناء ذلك كان كتاب الرياضيات يحوم فوق رأسي مثل الطائر .

كانت الشمس على وشك الغروب ، عندها أشرت إلى كتابي لكي يأتي . فأخذني وبدأ بالطيران ، وأنا أصافح جميع أصدقائي الأرقام حتى وصولنا إلى المنزل . وبمجرد دخولي إلى غرفتي أخبرت بقية الكتب بما جرى معنا . الغريب ، أن أياً منهم لم يفاجأ . ثم تدخَّل كتاب الجغرافيا وقال :

ـ وهل هناك أسهل من هذا ؟ أنا أيضاً بإمكاني أن أجعلك تطيرين ، كما سأريك العالم بأسره . وبصوتٍ مُتعبٍ قلت له :

كان يخرج رأسه من المياه مثل الدلفين ، ويشق طريقه في البحر . أما الرقم (٣) فكان مستلقياً على ظهره مثل الزورق . في حين كان الرقم (٩) يبذل قُصارَى جهده حتى لا يغرق بسبب وزنه الزائد . ولكن لم أستطع التحمل أكثر من ذلك ، وغطست في مياه البحر . أعلِّم الأرقام (٤ و٥) السباحة . بينما كان الرقمان (٦ و٧) يساعداني . أما الرقم (٨) فكان ينتظر على الشاطئ وبيده المنظار للمراقبة . فقد كان حارس الشاطئ . حيث يرمي الرقم (٠) كطوق نجاة نحو الأرقام التي تعرضت لخطر الغرق . وفي أثناء ذلك كان كتاب الرياضيات يحوم فوق رأسي مثل الطائر .

كانت الشمس على وشك الغروب ، عندها أشرت إلى كتابي لكي يأتي . فأخذني وبدأ بالطيران ، وأنا أصافح جميع أصدقائي الأرقام حتى وصولنا إلى المنزل . وبمجرد دخولي إلى غرفتي أخبرت بقية الكتب بما جرى معنا . الغريب ، أن أياً منهم لم يفاجأ . ثم تدخَّل كتاب الجغرافيا وقال :

ـ وهل هناك أسهل من هذا ؟ أنا أيضاً بإمكاني أن أجعلك تطيرين ، كما سأريك العالم بأسره .

وبصوتٍ مُتعبٍ قلت له :

ـ أشكرك يا كتابي العزيز . في وقت آخر إن شاء الله . وأثناء ذلك غلبني النعاس .

كان المساء قد حلَّ عندما أيقظني كتاب الجغرافيا لكي أراه . ثم قال مرفرفاً بصفحاته مثل الأجنحة :

ـ أنت ، يا أخت جيرين ! هيا نذهب في جولة .

أمسكتُ كتابي ، وأغمضت عيني . ثم بدأنا التحليق . وبعد قليل قال لي :

ـ يمكنك فتح عينيك الآن .

كنا نحلِّق مثل النسر في السماء . ثم أشار إلى الرافدين ، وقال :

ـ انظري هذا نهر الفرات ، وهذا نهر دجلة . كما أضاف إليهم جبال أرارات الظاهرة في الطرف المقابل .

وتابع كلامه مُطلِقاً صرخات الفرح وقال :

ـ انظري إلى تلك الأزرقيات .

ـ أحدهما البحر الأبيض المتوسط ، والآخر هو البحر الأسود .

وعلى الفور قاطعتُ حديثه قائلة :

ـ وذاك الأزرق المتعرج هو بحر إيجة ، أليس ذلك الذي مثل السلحفاة هو بحر مرمرة ؟

ـ أحسنتِ يا جيرين ، أنت تعرفين الكثير من الأمور .

ـ الفضل يعود لأساتذتي وأصدقائي ، هم يعلِّمونني كل شيء .

توقف عن الطيران فجأة وقطَّب حاجبيه وسأل :

ـ الأساتذة معروفون بالطبع ، ولكن من هم أصدقاؤك ؟

أجبته وأنا أطبطب على صفحاته قائلة :

ـ إنهم أنتم ، أي : الكتب ، إنكم أفضل أصدقائي .

ابتسم على إثر هذه الكلمات وتابع الطيران وقال :

ـ بما أننا أصدقاء ، سآخذك في جولة حول قارات العالم ، وبعدما قال ذلك هبط مباشرة إلى الأسفل .

دخل بهدوء من النافذة ووضعني على سريري . ثم قبَّلت بقية كتبي الموجودة على الطاولة واستغرقت في النوم .

ومنذ ذلك اليوم أحببت كتبي أكثر فأكثر . وهم أيضاً كانوا يحبونني مثلما أحبهم . ويطلعوني على جميع المعلومات الموجودة ضمن صفحاتهم . أتعلمون لقد أصبحت أنا وأصدقائي المخلصين من أعز الأصدقاء ، أي : أصبحت الكتب أصدقائي بالمعلومات ، أو بالأحرى أصبحوا بنك المعلومات الخاص بي .

* * *

المظلة الكرزية

أنهيت واجباتي المنزلية واستندت على ظهري ، وعندها سُمع صوت أمي تقول :

ـ ألم تنهي واجباتك بعد يا جيرين ؟ وفي تلك الأثناء وصل الخبز الطازج إلى متجر البقالة ، مما يعني أن عليَّ الذهاب لإحضاره .

أجبتها وأنا أجمع كتبي ودفاتري قائلة :

ـ قادمةٌ يا أمي . وعندما نظرت إلى السماء من خلال النافذة رأيت سحب سوداء تمر بتثاقل . وبينما كنت أستعد وأنا متجهة نحو الخارج تردد صدى صوت أمي المحذِّر مجدداً قائلة :

ـ لا تنسي مظلتك يا حلوتي يبدو أنها ستمطر .

آه يا أمي ، كم أنت حذرة ! سأذهب وأعود خلال خمس دقائق . ماذا سيحدث إن هطل المطر أم لم يهطل ؟ وبينما كنت أفكر بذلك أخذت المظلة . وذهبت بسرعة إلى متجر البقالة . وفجأة انخفضت حرارة الجو .

وبدأت السماء تبرق وترعد . وعند خروجي من المتجر ألقت

قطة صغيرة تقف أمام الباب السلامَ عليَّ وهي تموء . فانحنيت قليلاً ولاعبتها . كانت عيناها على الخبز الموجود داخل الكيس . آه الخبز ! إن رائحته شهية . وفي الحال انتزعت قطعة وأعطيتها للقطة . فشكرتني عن طريق مواء لطيف .

وبالفعل تناولت قطعة الخبز وأسعدت القطة بذلك . وفي أثناء ذلك بدأ المطر يهطل ، وعلى الفور فتحت المظلة وبدأت السير بسرعة . واشتد نزول المطر كثيراً .

عند وصولي إلى باب المنزل لفت انتباهي بائع جوال لجأ إلى أسفل الشرفة ، يختبئ من المطر الذي كان يهطل بغزارة من جهة ، ومن البرد من جهة أخرى . حيث التحف الرجل العجوز يائساً بسترته . . . وقد اقترب الوقت من العصر . ثم اقتربت من البائع وقلت له :

ـ يوم عمل سعيد يا عم .

رفع رأسه إلى السماء وقال يائساً :

ـ إن منحتنا هذه الأمطار المباركة الفرصة سيكون يوماً جيداً ، ولكن فليكن الله في عوننا إن استمر المطر بالهطول على هذا الحال . ثم لوى عنقه حزيناً .

شعرت بالأسى على حاله . كان شعره مبعثراً ، ووجنتاه

محمَّرتين من البرد . كما استوطن اليأس والخيبة عينيه . وبهدوء ابتعدتُ عنه وتوجهتُ نحو السلالم . كان عليَّ أن أفعل شيئاً ما للبائع العجوز ؟ لم أستطع الاكتفاء بالحزن والأسى فحسب ، بل لا بُدَّ لي أن أفعل شيئاً ما ، ولكن ما هو ؟

بمجرد أن فتحت أمي الباب بدأتُ التوسل قائلة :

ـ أمي الحبيبة ، هناك بائع جوال في الخارج . وقد لجأ إلى أسفل الشرفة بسبب المطر . هل بإمكاننا شراء احتياجاتنا الأسبوعية من الخضار والفواكه من عنده ؟

احتضنتني أمي بحب وبدأت تداعب شعري وقالت :

ـ يا ابنتي الجميلة والطيبة ، إننا نقوم بالتسوق في أيام السبت ، ولكن لا مانع من القيام بذلك اليوم .

ثم ذهبت إلى المطبخ وأعدت قائمة الحاجيات التي سيتم إحضارها . أخذت القائمة وخرجت بسرعة ، ولكن استوقفني صوت أمي الناعم تقول :

ـ يا جيرين الجميلة ، من الأفضل أن تأخذي المظلة .

آه يا أمي ، آه ! أنت رائعة ولطيفة ، ولكن في بعض الأحيان يصعب عليَّ فهمك .

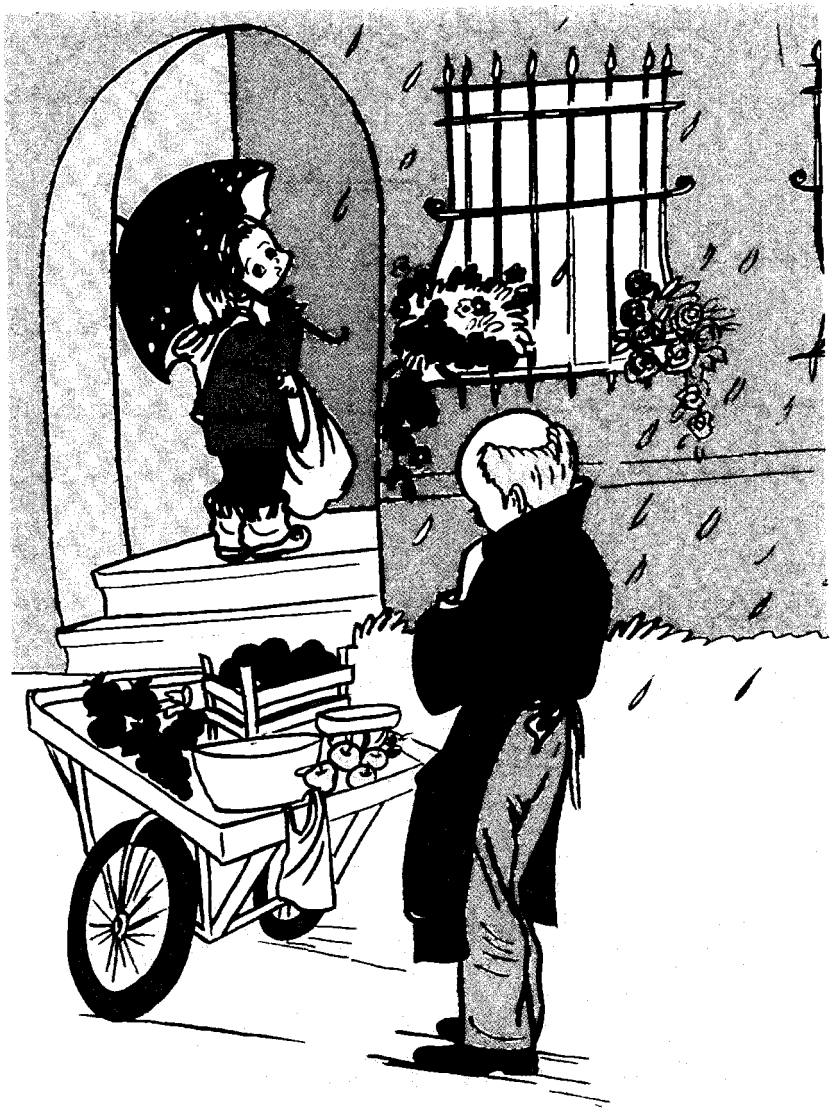

ـ يا أمي العزيزة ، تعلمين أن الشرفة بجوار السلالم مباشرة . يمكنني الذهاب من دون أن أتبلل ، وأشتري الخضار والفواكه . إذن ما الحاجة إلى المظلة ؟

ناولتني أمي المظلة وهي تبتسم مبتهجة وقالت :

ـ يا ابنتي العزيزة ! قد لا تكون ضرورية لك ، ولكن ألا تعتقدين أنها ستكون ذا فائدة للآخرين ؟

كيف هذا ، نظرت إلى عيني أمي وتساءلتُ في نفسي ، ألم يحن الوقت بعد للسؤال عن اللغز ؟ ولكن يبدو أن أمي قد عرفت السؤال من عيني فقالت :

ـ يا جيرين ! أعطِ هذه المظلة إلى عمك البائع ، ألن يكون رائعاً أن يستمر بالبيع .

عندها تركت المظلة واحتضنت أمي وقلت :

ـ أمي الذكية !

ثم نزلت إلى الأسفل واشتريت حاجياتي . وبعدما دفعت المبلغ اللازم قلت له :

ـ يا سيدي ! إذا أعطيتك المظلة يمكنك مواصلة العمل والبيع .

فجأة تبددت غيوم الحزن في عيون البائع العجوز ، وامتدت ابتسامة جميلة على وجنتيه وقال :

ـ أشكرك أيتها السيدة الصغيرة ، فرَّج الله عنك .

وبينما كان يتردد صدى صيحات البائع الجوال « بندورة ، باذنجان ، بطاطا ، بصل » بدأت صعود السلالم وبيدي الأكياس .

وقد سهَّلت أمي عليَّ عملي كثيراً عندما ساعدتني . ووضعت معها الخضار والفواكه في الثلاجة . وعندما ذهبنا إلى غرفة الجلوس جلست أمي بجانبي وقالت :

ـ يا طفلتي الحبيبة ! أشكرك على طريقة تصرفك اليوم . أنت وحيدتي لا أحد يشبهك . كنت أحبك جداً ، ولكن بعد تصرفك هذا بدأت أحبك أكثر فأكثر . الله يحبك ويحبب خلقه بك . ثم قبَّلتني من وجنتي .

كان المساء قد حل وعاد والدي إلى المنزل . وعندما أخبر والدتي أن صديقاً من العمل سيزورنا غمزتني بعينها وقالت :

ـ فواكهنا جاهزة أيها السيد ، فليتفضل ويزرنا . ثم أخبرنا والدي ما جرى معنا قبل قليل .

وبدوره احتضنني والدي بحب وشكرني .

بعد قليل رن جرس الباب ؛ فنزلت بحماس إلى الطابق السفلي . وعندما فتحت الباب لم يكن هناك أحد . وبينما كنت على وشك الدخول رأيت المظلة معلَّقة على مقبض الباب . كانت المظلة التي أعطيتها للبائع منذ قليل . عندها مشيت بضع خطوات إلى الخارج ونظرت إلى الشارع فرأيت البائع الجوال . وناديته قائلة :

ـ يا عم ، يا عم .

التفت ونظر إلى الوراء ، وبعدما لوَّح لي بيده عدة مرات وضمها إلى صدره وسلم عليَّ . ثم بدأ يصيح مرة أخرى ويقول :

ـ تفاح ، إجاص ، كرز ! إن الخير لا يُنسى .

ثم لوَّحت بيدي مرة أخرى للعم العجوز وأخذت المظلة واتجهت نحو السلالم . وعندما حملت المظلة شعرت بثقل قليل فيها ، ولكن ظننت أن سبب ذلك هو ابتلالها بماء المطر . وحينما صعدت إلى الطابق العلوي أخذت أمي المظلة مني وفتحتها وبدأت تنظر داخلها . ثم أخرجت كيساً منها وقالت :

ـ ما هذا ؟

وعندما فتحنا الكيس وجدنا داخله قليلاً من الكرز . كانت هدية من البائع الجوال . ومنذ ذلك الحين كلما خرجت في أجواء ماطرة نادتني أمي من الخلف وقالت :

ـ يا جيرين ! لا تنسي أخذ المظلة الكرزية !

عقب تحذير أمي هذا تردد صدى صوت العم البائع في رأسي وهو ينادي :

تفاح ، إجاص ، كرز !

إن الخير لا يُنسى !

* * *

صديقتي السبورة

أعشق المدرسة وكل ما يتعلق بها ؛ لأننا نمضي كل أوقاتنا في مزاج احتفالي . فالذهاب إلى المدرسة هو احتفال بحد ذاته ، وعدم الوقوف في طابور الصباح هو صخب آخر ، كذلك الدخول إلى الصف ركضاً وبَدْءُ الدروس له حماس مختلف .

وإن سألتم « ما هو أكثر شيء تحبينه في المدرسة ؟ » ، سأقول : إنها فترة الاستراحة ؛ لأنني لا أستطيع وصف الفرحة التي أشعر بها عندما يرن جرس الخروج إلى الاستراحة . صحيح أن الدروس جميلة أيضاً ؛ إذ يعد تحصيل العلم أمراً رائعاً جداً ، ولكن الاستراحة شيء آخر مختلف . إننا أطفال يا أعزائي ، افهموا ذلك ! حيث تفيض الأفكار من داخلنا ، ألا تسمعونا نغرِّد مثل العصافير ؟

لم أستطع الخروج اليوم إلى الاستراحة ؛ لأنني كنت مناوبة في الصف . جزاها الله خيراً صديقتي شبنم ، فقد بقيت برفقتي ولم تتركني أبداً . وبينما كنا نتساءل عما سنفعله ، وكيف نمضي وقتنا ، وجدنا أنفسنا أمام السبورة وبيدنا الطباشير . أنا أكتب اسم شبنم ،

وهي تكتب اسمي . ثم رسمنا قلباً يحتوي اسمينا . نعم إننا نحب بعضنا بعضاً كثيراً . . .

فيما بعد بدأنا نكتب أسماء الأصدقاء الذين لا نحبهم . أولاً كتبت اسم « سيلين » ؛ وقد وضعت عليه شبنم إشارة ضرب . ثم كتبت اسم « ميليس » ، فكتبت شبنم بجانبه كلمة « بقرة » . وكنا ننظر إلى السبورة وننفجر ضحكاً .

كنا نستمتع جيداً حتى بدأت تصدر أصوات صرير من السبورة . ثم سمعنا صوت يقول : « أوف ! » ونثر غبار الطباشير الذي على السبورة على شعرنا ورأسنا . وبخليط من الدهشة والغضب قالت شبنم :

ـ ماذا يحدث لنا ؟ وألقت المِمحاة على السبورة .

وبنفس المشاعر أنَّبتها قائلة :

ـ احترسي يا صديقتي .

ثم بدأت السبورة التحدث بصوت رقيق قائلة :

ـ ما تقولينه صحيح يا جيرين ، ينبغي على الأصدقاء الاعتناء ببعضهم بعضاً ، وأن لا يتكلموا عنهم بالسوء خلف ظهورهم .

وبأسلوب مرتجل قلت لها :

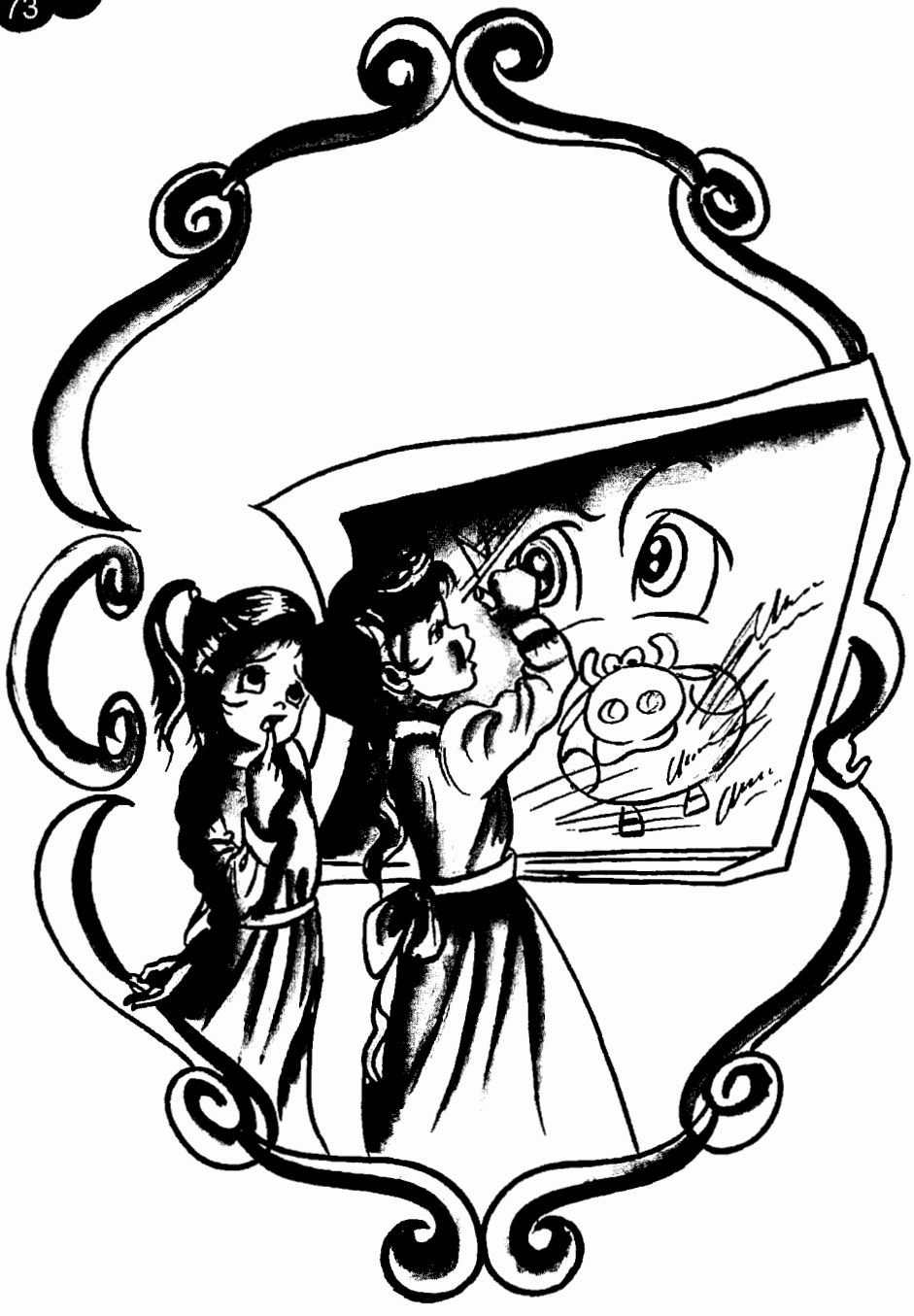

ـ عمن تكلمنا بالسوء أيتها السبورة الذكية ؟ إذا كان هناك أحد قد سمع شيئاً فليقل .

أجابت السبورة بشكل ساخر :

ـ نعم ، لمْ تقولا شيئاً ولكنكما كتبتما ذلك ! كما أنني ذكية .

أتعلم كل شيء تتعلمونه أثناء الدرس . كما أخبرتنا معلمتنا الأسبوع الماضي . . .

قاطعت شبنم كلام السبورة وسألت :

ـ ماذا ، هل قلت معلمتنا ؟ كيف أصبحت معلمتك أيضاً ؟

ـ المعلم هو المرشد والموجِّه ؛ كل من يسمعه يصبح تلميذه . ما الذي كنت أقوله ؟ قالت معلمتنا : في الماضي كان الأتراك يقاتلون وهم يسندون ظهورهم إلى الحجارة لكي يشعروا بالأمان ويحموا أنفسهم من الخلف . وكانوا يطلقون على ذلك كلمة « أركاتاش » وتعني : « خلف الحجر » ، ثم أصبحت الكلمة « أركاداش » وتعني : « الصديق » .

وكي أفهم أكثر سألتها :

ـ ما الذي تقصدينه ؟

ـ يعني : يجب على الأصدقاء أن يثقوا ببعضهم بعضاً يا جيرين العزيزة وشبنم الحلوة . . . هل يمكنني أن أسألكما سؤالاً ؟

لم تكن السبورة تتكلم من فراغ . كما زال غضبي قليلاً . فقلت لها :

ـ تفضلي ، اسألي .

سألت السبورة بوضوح :

ـ هل ترضيان أن يكتب أحدهم أشياء كهذه دون علمكما ؟

أجاب كلانا معاً :

ـ بالطبع لا ، لن نرضى ! إذن ، لقد فهمنا تماماً الخطأ الذي ارتكبناه . ولم يكن هناك من داع للإصرار على ذلك الخطأ .

قالت شبنم :

ـ حسنٌ يا صديقتي ، أنت محقَّة .

كما نشكرك على تحذيرك لنا .

ثم خطر على بالي فجأة ، وسألت قائلة :

ـ أيتها السبورة الذكية والعالمة ! هل تصبحين صديقةً لنا ؟

أجابت السبورة ببهجة قائلةً :

ـ ما المقصود بأن نصبح أصدقاء ؟ لقد أصبحنا سلفاً . انظري لقد تجادلنا قبل قليل ، ولكننا تصالحنا بسرعة . أليست الصداقة هكذا بالفعل ؟

بعدها قبَّلت صديقتي السبورة من وجنتيها ، غير أن غبار الطباشير الغيورة منعني من ذلك . وعلى الفور أخذت الطباشير ، وبدأت أكتب :

إن الخير والجمال

يأتيان في المقام الأول

الصديق ، الصديق

محبوب في كل الأوقات

قد يكون إنساناً

أو غير ذلك

أحبك جداً

أيتها السبورة الجميلة

ثم وقَّع كل منا في أسفل القصيدة . وبذلك عزَّزنا من أواصر الصداقة بيننا وبين السبورة . ودامت لسنوات بصحبة العلم والحب .

* * *

سارق الزمن

جاءَ الربيع وعمَّ جماله عالمنا . فُتحت النوافذ ، وبدأنا الدراسة مع تغريدات العصافير . كان معلمنا مشغولاً بتقديم أجمل الأزهار التي قطفها من شجرة العلم. . . كأننا نتكون من جزأين ؛ جزء منا طفل ، والجزء الآخر منا طير .

بدأت معالم فصل الربيع الأولى بالظهور شيئاً فشيئاً ، وامتلأت الأوراق حيويةً ونشاطاً مع نسمات الهواء العليلة . لم يستطع ميهريبان الثبات مكانه ، في حين كان أرتونش يقف تارة ويجلس تارة أخرى .

دخل المعلم إلى الصف بعينيه اللامعتين وقلبه المليء بالحب ، متحمساً لإعطائنا معلومات جديدة . ثم بدأ بشرح الدرس والابتسامة تعلو وجنتيه والكتب بيده . وبعد مرور خمس دقائق عطلت ميهريبان سير الدرس. . . تلتفت يمنةً ويسرةً وإلى الوراء تثرثر مع الجميع .

أما أعين معلمنا فكانت واحدة على السبورة والأخرى على ميهريبان. . . وفي البداية أخذ يحذرها بنظراته ، ولكنه لم يستطع

التحمل أكثر من ذلك ، فقال لها :

ـ عزيزتي ميهريبان ، أرجوك استديري إلى الأمام ؟

لم يلبث تأثير هذا التحذير أكثر من دقيقة واحدة فقط . حتى عاودت ميهريبان الثرثرة . . . قال المعلم بنبرة أكثر حدة :

ـ من فضلك يا ميهريبان .

لم تتبدل تصرفات ميهريبان . في تلك الأثناء ، بدأ أرتونش بالشغب . وأخذ يثبت قطع الورق على المطاطة التي بيده ويقذف بها عشوائياً . حتى صدر صوت « آه ! » من ميرفت ومن جيزيم . عندها اختفت اللمعة من عيون معلِّمنا والحب الذي كان يملأ قلبه ببطء .

ترك الطباشير من يده وأدار وجهه إلى الصف وقال :

ـ أيها الأطفال ، أرجو منكم أن لا تتوقفوا عن الشغب ! إن كنتم لا تحترمون أصدقاءَكم فاحترموا أنفسكم ! إن هذا الدرس لكم ، وهذا الوقت الذي يضيع عبثاً لكم أيضاً .

عمَّ الصمت أرجاء الصف . وفي محاولة لتغيير الموضوع قال المعلم :

ـ هل هناك من سمع بموقف غريب أو مرَّ به في هذه الأيام ؟

رفع أوزليم نور إصبعه وبدأ بالشرح قائلاً :

ـ يا معلمي ! اشترى جارنا سيارة جديدة الأسبوع الماضي .

ولكنها سرقت البارحة . حزنوا جداً لذلك ، كما أنهم سيدفعون تقسيط السيارة المسروقة لمدة سنة كاملة .

قال المعلم بنبرة حزينة :

ـ أيها الأصدقاء ! ما رأيكم باللصوص ؟

بدأت الأيدي ترتفع . وقال مراد غاضباً :

ـ إنهم أناس دنيئون وأرذال .

أضاف فهيم :

ـ إنهم رجال بلا أخلاق !

وتابعت عائشة غول قائلةً :

ـ شلَّ الله أيديهم ! بأي حق يقومون بسرقة أموالنا !

قام المعلم بالاستماع إلى بعض التلاميذ ، ثم وقف وفكَّر قليلاً ـ وقد أضاء وجهه وهز رأسه بثبات ـ وقال :

ـ حسنٌ أيها الأطفال ! إن سرقة أموال الآخرين عمل سيِّئ بالفعل . ولكن ما رأيكم بمن يسرق من ماله الخاص ؟

ضحك تلاميذ الصف . ولم أستطع التحمل ، فسألت المعلم :

ـ أيها المعلم ، كيف يمكن أن يسرق الإنسان من ماله ؟ المجنون فقط من يفعل أمراً كهذا .

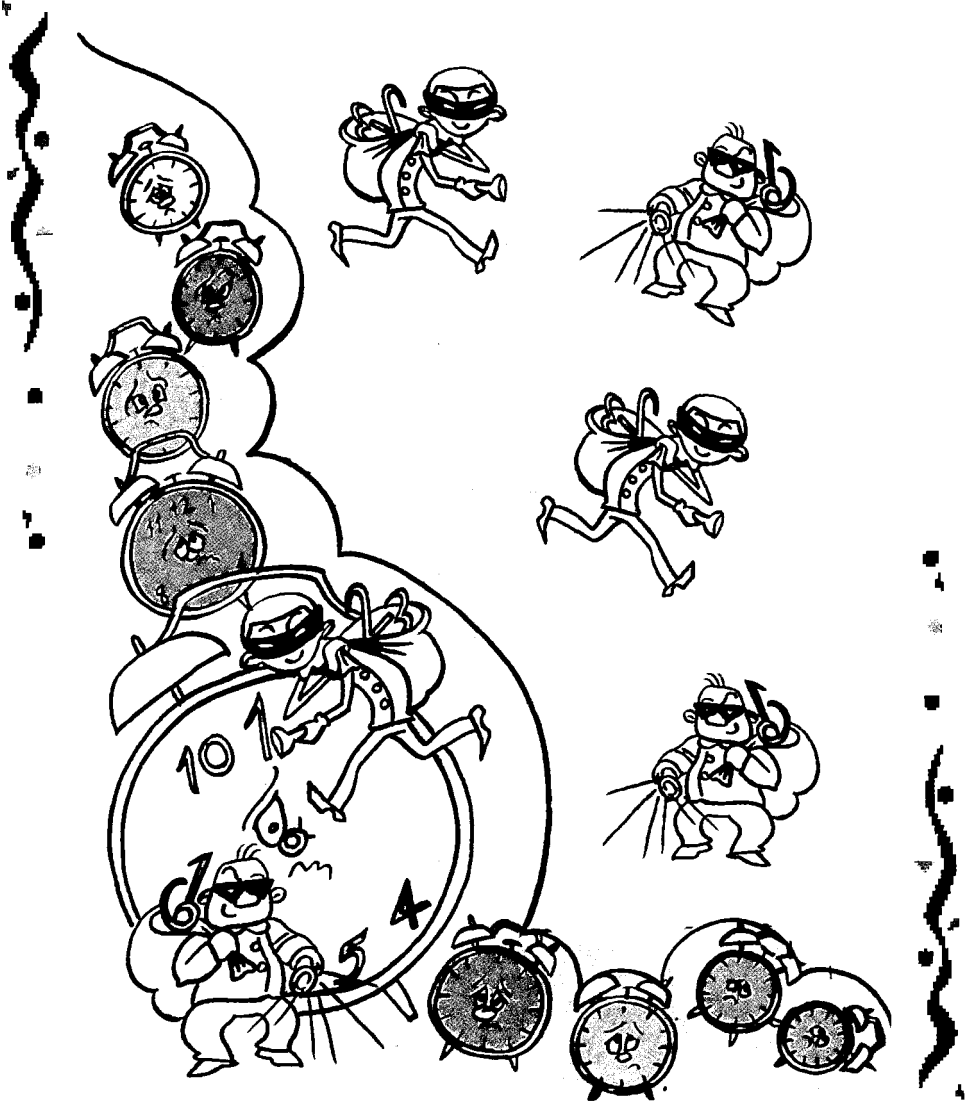

قال المعلم مبتسماً :

ـ أنتِ محقَّة يا جيرين . من المستحيل أن يقوم شخص بكامل قواه العقلية بفعل كهذا .

نظر إلى ميهريبان وأرتونش نظرة بليغة ، وتابع كلامه قائلاً :

ـ يا أعزائي التلاميذ ! نعم ، إن سرقة أموال الآخرين عمل سيِّئ جداً . إذن ما رأيكم بمن يسرق وقته ووقت غيره ؟

رفعت إيشلاي يدها وقالت :

ـ إن ذلك نوع من أنواع السرقة .

قام المعلم هذه المرة بمخاطبة جميع التلاميذ قائلاً :

ـ هل تتفقون مع إيشلاي أيها التلاميذ ؟

ارتفع صوت مدوٍّ في الصف قائلاً :

ـ نعم أيها المعلم .

نظر المعلم مرة أخرى إلى ميهريبان وأرتونش . وأدرك كلاهما خطأَهما .

قال المعلم :

ـ ما الذي كنت أشرحه ؟

وعاود مرة اخرى إعطاءَ الدرس .

صديقتي الملاك الأبيض

تتوق نفسي عند حديث بعض صديقاتي عن وجود ممرضة في مدارسهم . ما المانع أن تأتي ممرضة للعمل في مدرستنا ! تعطينا الدواء عندما نمرض ؛ وتوقف السعال والعطاس ، وندرس الدروس بهدوء وراحة . ألن يكون جيداً أن لا نصاب بالحمى وتسيل أنوفنا ؟

كم أعشق ملابس الممرضات . يا إلهي ! ما هذه الأناقة ، وهذه النظافة ؟ إنها ليست ممرضة ، بل هي ملاك أبيض . لا تتفاجؤوا إذا ما رأيتموني أصبحتُ الممرضةَ جيرين يوماً ما .

وأخيراً ، استجاب الله لدعائي وأتت ممرضة للعمل في مدرستنا . كلُّ ما يتعلق بها جميل ورائع لو لم يكن هناك حقن ! أخاف منها كثيراً . وكلما ذهبت إلى المستوصف أدخل إليه مردِّدة الأبيات الشعرية التالية :

سأفرش دربَك باللؤلؤ
وألفُّ يديك بخيوط الذهب والفضة
ولكن دعكِ من الحقنة
فإن الأشربة تليق بيديك أكثر .

وعند سماع الممرضة أبياتي الشعرية هذه كانت تبدأ بالضحك ويزداد جمالها جمالاً . وأنا أيضاً شربت الدواء ، وبدأت أستعيد عافيتي .

نعم ، كلُّ شيء يسير على ما يرام ؛ لأنه عندما أكون بصحة جيدة أنجح في دروسي . وانتبه إلى تحذيرات الممرضة وهي تلوِّح بالإبرة التي بيدها قائلة :

ـ لا تلعبوا كثيراً حتى لا تتعرقوا ! وعند حدوث ذلك لا تشربوا مياهاً باردةً ! ولا تنسوا غسل أيديكم جيداً قبل تناول الطعام وبعده .

وكيف لي أن أنسى ؟ وإلا سأكون في حالة سيئة للغاية .

ذات يوم ، وبعد دخولنا إلى الحصة الثالثة جلست صديقتي شبنم بجانبي . ثم قالت وعيناها جاحظتان وصوتها يرتجف :

ـ سيتم تلقيح طلاب الصف .

عندها بدأت أرتجف . هل سيفرِّقون بيننا في المقاعد ؟ ونظرت فرأيتها ترتجف أيضاً . فقلت لها : .ماذا جرى لك يا صديقتي ؟
فبدأتْ بالضحك وأجابتْ قائلة :

ـ لا شيء يحدث لي . أرتجف من الضحك عليكم ، ألم تقل ؟

انظري إليها ! نكاد نموت من شدة الخوف وهي تستمتع بالضحك . كنت سأدعو الله « أن يغرزوا فيها إبرةً بحجم مسمار كبير » ، ولكن لم أستطع ذلك . وبينما كنت أحاول الجلوس في المقعد ، ألقت شبنم نظرة على الصف ، ثم همست في أذني قائلة :

ـ هيا لنهرب ؟

ـ ماذا ، إلى أين سنهرب ؟

ـ إلى المنزل .

ـ ولكن ماذا سنقول لأمهاتنا ؟

وبصوت مرتعش أجابت :

ـ إنه سهل . سنقول كان هناك نشاطٌ في المدرسة ، وقد انتهى باكراً فأرسلونا إلى المنزل .

ـ ولكن الكذب أمر غير مصيب على الإطلاق .

قالت على عجل :

ـ لا يهمُّني سأذهب . وأخذت حقيبتها ومشتْ .

فلحقتُ بها . هل لديها روح ونحن لدينا باذنجان ؟ (هل روحها أغلى من أرواحنا ؟)

وأنا أخاف جداً من ضرب الإبر .

لن نطيل أكثر من ذلك ، وذهبنا إلى المنزل خائفين مرتعدين .

قديماً قالوا : « إن شمعة الكذاب تشتعل إلى وقت العشاء » ، ولكن التكنولوجيا تطورت ، وأنطفأت شمعتنا خلال ساعة . فقد كشفت كذبتنا حينما اتصل السيد مراد مساعد مدير المدرسة مع والدتي . عندها أمسكتني أمي من ذراعيَّ وأخذتني إلى المدرسة . وفي تلك الأثناء وصل دور اللقاح إلى صفنا .

ثم تحدثتِ الممرضة وهي تلوِّح بالإبرة التي بيدها قائلة :

ـ يا أصدقاء ! لا شيء يدعو للخوف . نعم ، إن الإبرة مؤلمة قليلاً ، ولكنها مثل لسعة البعوضة . إن لم تتحملوا هذا الألم ، ستواجهون ما هو أسوأ بكثير .

وبعد خطابها الحماسي هذا بدأ التلقيح . ودقات قلبي تتسارع حتى جاء دوري أخيراً . فأمسكت أمي بيدي ، وأغمضت عيني . وبالفعل ما قالته الممرضة كان صحيحاً . لم أشعر بالألم سوى في البداية .

ما الذي جرى مع شبنم ؟ لم تأتِ لأخذ اللقاح . لقد أخذت تبكي وتندب حتى أقنعت والدتها . لم تأتِ ذلك اليوم ، ومضى أسبوع على هذا الحال . وعند اتصالي بها وسؤالي عنها كانوا

يقولون : إنها مصابة بالإنفلونزا ، ولديها حمَّى .

قالت شبنم :

ـ ليتني لم أهرب ، ليتني رجعت إلى المدرسة ! هل تعلمون أن أحداً لم يأتِ لزيارتي خوفاً من العدوى . ثم بدأت تتنهَّد قائلةً : لقد اشتقت إليكم وإلى معلمتي .

لقد كانت صديقتي الملاك الأبيض محقَّة . ولهذا كنت أحبها كثيراً . هل بإمكانكم الاقتراب والاستماع إليَّ ؟ سأقول شيئاً ما . أدعوها الآن بالممرضة ، لأنها ربما ستغضب إن سمعتني أقول عنها : « صديقتي » . ولكن لقد قلت في البداية ! يوماً ما عندما أصبح الممرضة جيرين سأدعوها بكل سهولة وارتياح « صديقتي الملاك الأبيض » . وهو يوم أنتظر قدومه بفارغ الصبر . هيا يا أصدقائي الأعزاء اعتنوا بأنفسكم جيداً .

* * *

صديقي النهر

أحب دائماً أن لا أخلط بين أوقات المدرسة والعطلة ؛ وقت المدرسة هو للجد والدراسة ، ووقت العطلة هو للعب والمرح . إذا كنتم تتساءلون عن السبب ، فجوابي هو : لأن لكل شي وقته المناسب . فما أجمل أن نذهب إلى المدرسة كل يوم لنتعلم أشياء جديدة ! وما أجمل أن ألعب مع أصدقائي ، وأستمع إلى كلام المعلمين الذي يسيل كالعسل ! أما الذهاب في رحلة مع عائلتي وزيارة منزل جدي وجدتي في فترة العطلة ، فله متعة خاصة .

لقد حان وقت الإجازة التي كنت أنتظرها منذ شهور . وبدأنا بالتجهيز منذ المساء . وفي الصباح الباكر انطلقنا بالسيارة . كان والدي يقود بحذر ، ولكن عندما تكون الطرق ملائمة يفضل القيادة بسرعة . في أثناء ذلك كانت والدتي الجالسة في المقعد الأمامي ، وأنا الموجودة في المقعد الخلفي نقوم بتحذير والدي قائلين :

ـ أرجوك لا تسرع .

كنت أرغب بشدة أن يقود والدي السيارة ببطء بشكل خاص .

لماذا ؟ حتى أتكلم مع صديقي النهر .

كلما ذهبنا إلى قريتنا كان يرافقنا النهر طوال الطريق من الجهة اليمنى . حيث أقوم بمحادثته طويلاً . وكان يتكلم معي بصوت ناعم أحياناً ، أو بصرير حاد في أحيان أخرى قائلاً :

ـ عزيزتي جيرين ! أقول هذا بكل تواضع ، ولكنني على علم بجميع الطرق المختصرة . لذلك فإن جميع الطرق موازية لي .

بعد هذا يقوم النهر بالتعريف عن أصدقائه :

ـ هل ترين كم هي أطرافي ممتلئة باللون الأخضر ؟ انظري إلى أشجار الدلب تلك ذات الأوراق الشبيهة باليد ، إنها أعز أصدقائي . وكذلك نبات الصفصاف أيضاً . انظري ، هل ترين نبتة الدّفلى ذات الورود الزهرية اللون ؟

في تلك الأثناء ، قفزت إحدى السمكات وذيلها يهتز . واستمرت رحلتنا على هذا النحو حتى ظهر أمامنا أحد الجبال . قال صديقي النهر ملوِّحاً بيده :

ـ اسمحي لي . . . . لنلتقي مرة أخرى بعد اجتياز هذا الجبل .

بدأت السيارة بالصعود على الجبل . وفتحت والدتي النوافذ من أجل أن يدخل الهواء النقي إلى الداخل . وتابعت سيارتنا المسير وهي تتلوَّى على الطريق كالأفعى . عندها لم يعد هناك من داع

لنطلب من والدي أن يقود ببطء . والآن بدأت الكلام مع صديقي الجبل . كان يشرح لي عن الأشجار والزهور والحيوانات الموجودة عليه . كانت الجبال تمنحني شعوراً بالأمن والسلام . يشبه ذلك الذي أشعر به عندما يكون والدي بجانبي .

وبينما كنت أفكِّر بذلك ، لفت انتباهي صوت الجبل المهيب وهو يقول :

ـ عزيزتي جيرين ! إن بقيت معي هذه الليلة ، يمكنني أن أجمع النجوم لأصنع لك تاجاً منها .

شكرتُ أخي الجبل على ذلك ، وقلت : « في المرة القادمة إن شاء الله . . . » .

بعد قليل ، التقيت مع صديقي النهر مرة أخرى . وقد بدأ يسير بشكل بطيء أثناء حديثنا . وبفضول سألته :

ـ هل تشعر بالتعب يا صديقي النهر ؟

أجابني مبتسماً :

ـ كلا يا عزيزتي جيرين . هنالك سدٌّ في الأمام . لقد أبطأت بسبب اقترابي منه .

قلت فرحةً :

ـ ما أجمل ذلك !

ـ نعم ، إن التجمع في السد أمر جميل . . . . فنحن نقوم بتوليد الكهرباء التي تُضيء المدن وتشغل المصانع .

ـ مهما شكرناكم لن نوفيكم حقَّكم . إنكم تقومون بسقاية السهول أليس كذلك ؟

ـ قال النهر مبتسماً :

ـ نعم ، نسقي الفواكه والخضروات ونحسن من جودتها .

ـ هذا جيد ، ولكن أنتم تسقون المياه للجميع ، ألن تنفدَ عندها ؟

ـ كلا ، لن تنفدَ أبداً يا عزيزتي جيرين . إن الشيء الذي يُعطى بنية حسنة لا ينفدُ . إننا نسقي الأشجار والخضروات بالمياه التي تمدُّنا بها الينابيع والجداول .

وعلى هذا النحو يتواصل سباق الإحسان .

كلما اقتربنا من السد أصبح النهر أكثر عاطفية .

ـ أتمنى يا عزيزتي جيرين أن تتذكريني عند ذهابك إلى المنزل وإشعالك للضوء ، وكذلك عندما تأكلين الخضراوات والفواكه .

تأثرت كثيراً بكلام النهر الذي يشبه الوداع .

ـ هل يمكن أن أنساك يا رفيق طريقي الجميل ؟ مثلما تتدفق

لتعطي وطننا هذا الجمال ، فإن هناك نهراً من الحُبِّ سيتدفق نحوك من قلوب الأطفال .

بعد نحو ساعة تقريباً من وداع النهر وصلنا إلى قرية جدِّي . حيث استرحت قليلاً في أحضان جدِّي وجدتي ، لأجد نفسي في حلم برفقة الطيور والرياح . أسمع فيه صوتَ مأمأة الخراف ونقنقةَ الدجاج . وحطَّ طائر النوم على وسادتي ، وبدأ يُغنِّي أغنية جميلة :

اغتنم كل لحظة سعيدة

واقضِها مع جمال الطبيعة

أُحِبُّكَ كثيراً

يا وطني الجنة

* * *

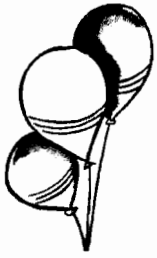

صديقي ٢٣ نيسان

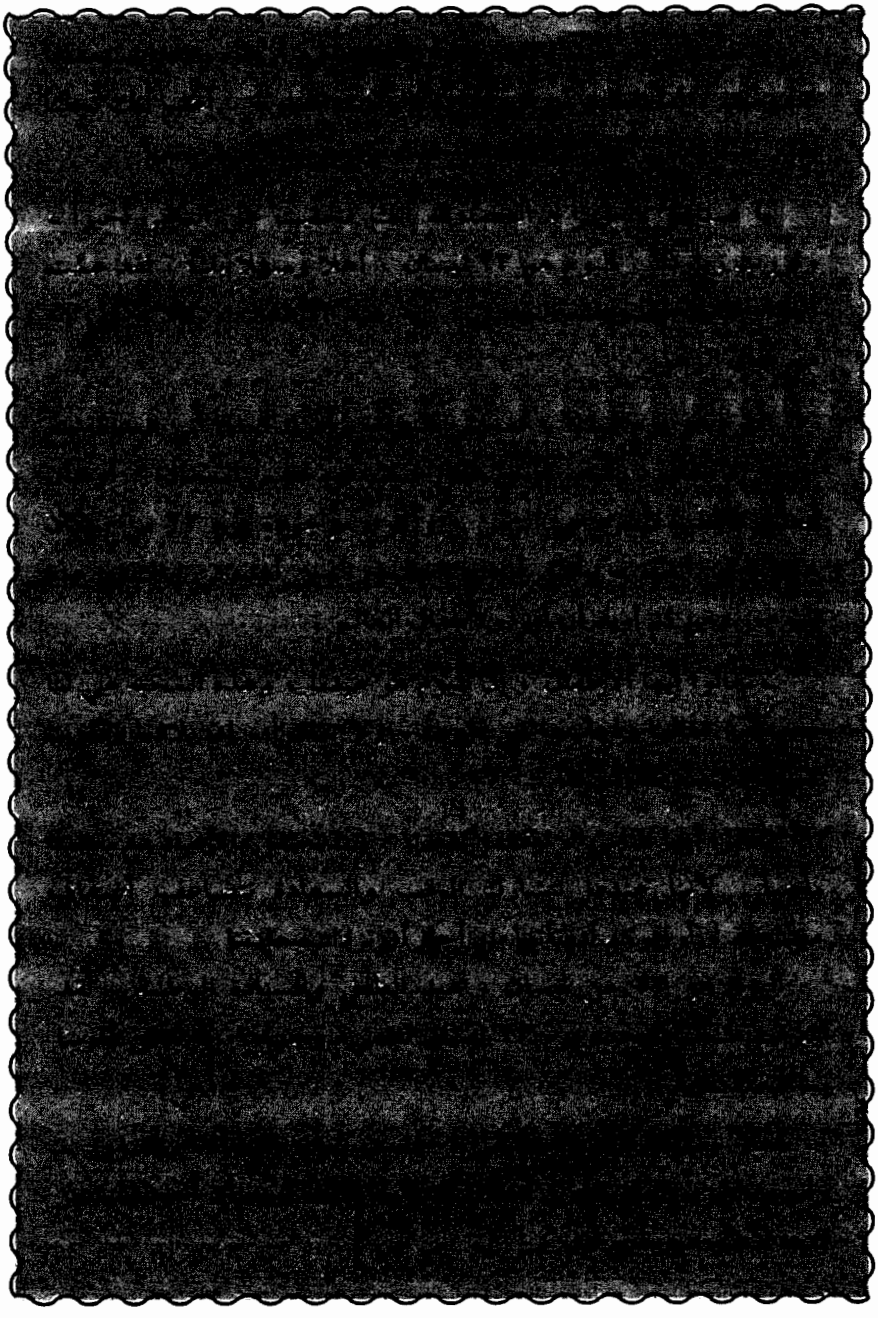

جاء ٢٣ نيسان

فائضاً كالسيل

جاء ٢٣ نيسان

راكضاً كالطفل

جاء ٢٣ نيسان

يدٌ بيد أشرقت الشمس

مع النجوم والقمر

جاء ٢٣ نيسان

مبتسماً في الصباح

ما أجمل أن أكون حرة

حيث يحلّق قلبي إلى السماء !

جاء ٢٣ نيسان

بزيارة خاصة لنا

جاء ٢٣ نيسان

رايةً للحب

ومثالاً للعالم

ومحقّقاً لأحلامي

جاء ٢٣ نيسان

أعياد زهرة الحب

لم أستطع أبداً اكتشاف الأسرار المتعلِّقة بالأعياد . كأن الأزمان التي زيَّنها الله عز وجل بها ، تزهر مثلما تزهر الأشجار في فصل الربيع . ساعات معطرة ، وأيام تفوح منها رائحة المحبة والأخوَّة .

في كل عيد ولا سيَّما خلال عيد الأضحى نذهب لزيارة منزل جدِّي . نشتري الأضحية قبل العيد بيومين أو ثلاثة أيام . وعند إحضار الكبش إلى المنزل تمتلئ قلوبنا الطفولية بالحماس والبهجة . حيث تترك لنا مهمة إطعامه والعناية به ، أو نحيطه بالمحبة الموجودة في قلوبنا .

ومن أجل إطعام الأضحية كنا نجمع العشب ، ونقطف الأوراق من الشجر ونضعها أمامها . ومن ثم نزيِّن قرونها بالشريط ونأخذها في نزهة . كان أصدقاؤنا ينظرون إليها بإعجاب ، ثم يعبِّرون عن مشاعرهم قائلين :

ـ ما شاء الله ، كم هي جميلة أضحيتكم ! وكبيرة جداً .

وبدورنا كنا نردِّد بسرعة الكلمات التي تعلَّمناها من جدِّنا وهي :

ـ بالطبع ستكون كبيرة يا ذكي ! لأننا سنجتاز الصراط المستقيم عن طريقها ، ونذهب إلى الجنة .

كان صباح العيد أكثر الأوقات التي تقبِّلني وتداعبني فيه أمي . وتقول لي :

ـ هيا انهضي يا جيرين الجميلة ، إن الشمس متلهفة جداً من أجل الاحتفال بالعيد .

وأثناء حديثها كنت أواصل الدَّلال وأتقلب في الفراش يمنةً ويسرةً . ومرة أخرى داعبت أمي شعري ووجنتي وقالت :

ـ أرجوك أن تنهضي يا ابنتي الحلوة ! بعد قليل سيعود جدك ووالدك من الصلاة . وإن عادوا ولم يروا ابنتهم الجميلة سيحزنون جداً . وبكلامها هذا داعبت قلبي ولم يعد بوسعي النوم .

استيقظت على الفور ، ولبست ملابس العيد ، وبدأت أنتظر بحماس قدوم جدِّي ووالدي .

عند العودة من الصلاة كان أفراد العائلة يتبادلون التهاني بمناسبة حلول العيد . في البداية كنت أُقبِّل يد جدِّي وجدتي ، ثم أُقبِّل أيدي والديَّ . وكذلك الأمر بالنسبة إلى بقية أفراد العائلة حيث أُقبِّل أيدي أعمامي وعماتي ، وأتبادل التهاني مع أولادهم .

في الواقع إن تقبيل الأيدي جميل، ولكن تقبيل العيادي في يدي له

جمالٌ آخر يا أعزائي ! ومما يزيد من حماسي هو طريقة المعايدة التي يقوم بها والدي في المناسبات الخاصة فقط . حيث يقبِّلني أولاً من وجنتي ، ثم يضع قُبلةً على ذقني وجبهتي ؛ ويردِّد على التوالي : أضحية للعاطي ، وأضحية للباعث ، وأضحية لمن يستحقها ، والحمدُ لله !

بالمقابل كان جدِّي يذبح الأضحية من جهة ، ويبدأ بإعداد اللحم المشوي من جهة أخرى . يوقد الفحم ويطبخ الطماطم والفليفلة عليه . وسرعان ما تمتلىء كافة أرجاء الحديقة بالروائح الشهية . وبمجرد الانتهاء من عملية الذبح وشوي اللحم نجلس جميعنا على الطاولة ونتناول الطعام .

ثم يبدأ زخمٌ آخر ، وذلك من خلال التحضير لتوزيع لحم الأضحية على الأهل وذوي القربى والجيران والفقراء ؛ حيث يمسكها جدِّي ويقول :

ـ هذه لجدِّكم حسن ، وهذه لخالتكم شكرية ، وهذه لعمكم علي سيدي . . . إلخ .

أثناء توزيع لحم الأضحية تنتشر مشاعر الفرح والبهجة بين الجميع ، ومعها تتفتح مزيد من أزهار الحب خلال العيد .

وعند عودتي إلى المنزل يكون قلبي مختلف الألوان مثل حديقة ورود ، أنتظر بشوق قدوم الأعياد مرة أخرى . صحيح أنني نسيت أن أحضر لكم نصيباً من لحم الأضحية ، ولكن سأقدِّم لكم باقةً من أزهار الشِّعر التي تفتحت في قلبي آنذاك كهدية العيد ، وهي :

فرحة العيد

ذاتَ صباح

ذهب والدي برفقة جدّي

لشراء كبش العيد

وعند رؤية الأضحية

بدأ العيد عندنا

زيَّناه وجمَّلناه

بالبالونات الحمراء

غمرتنا الأفراح السماوية

نسبِّح لله

بنجوم تلك الليلة المباركة

حتى وهبنا السكينة

في صباح العيد

قبَّلنا الأيادي

وأخذنا العيادي

وازدادت فرحتنا

ومع البسملة ذبح جدّي الكبش

يحلِّق ويطير بجناحيه

أُحبك جداً

يا الله

أرجوك اجعل أيامنا كلها

فرحاً وسروراً

مثل العيد !

صغيرتي المدلَّلة

أمضينا عيد ميلاد شبنم بأمن وسلام دون أن يعكر صفوَه أي شيء ؛ مما جعلني أشعر بارتياح شديد بالفعل . أعلم ما ستقولونه ، ستسألون الآن عما فعلته ! فليكن يا أعزائي ، ولكن انظروا إلى النتيجة أولاً . أليس من الفضيلة التراجع عن الخطأ ؟ ألا يجب علينا الاعتراف بخطئنا إذا ارتكبناه والاعتذار عنه ؟ ألا تعرفون الأغنية التي تقول : « لا يوجد إنسان بلا أخطاء . . . أحبَّني بأخطائي » .

عندما دخلنا إلى الصف في اليوم التالي ، كان الجميع ما يزال يتحدث عما جرى في عيد ميلاد شبنم . باستثناء سلمى . . . لم تشاركهم الحديث ، كانت تجلس هادئةً ومقطِّبةً الوجه على المقعد على جانبي الأيسر . وعلى الفور اقتربتُ منها وقرصتُ خدها ومازحتُها قائلة :

ـ ما الذي جرى يا جميلة الجميلات ! هل غرقت السفن في البحر الأسود ؟

قطَّبت سلمى وجهَها أكثر . هزَّت كتفيها ، وقالت دون أن تنظر إلى وجهي حتَّى :

ـ لم يحدث شيء .

تظن أنها ستخدعني هذه الفتاة ! ألا أعرف أصدقاء عمري وطفولتي أيتها الذكية ؟ قلت لها :

ـ هناك أمر ما يزعجك يا عزيزتي سلمى . أخبريني ما الأمر حتى أشاركك همَّك . ألسنا أصدقاءً !

عندما قلت الجملة الأخيرة نظرت إليَّ وقالت بغضب :

ـ هكذا إذن يا آنسة جيرين ؟ هل نحن أصدقاء بالفعل ؟

ارتعدتُ كأني تلقيتُ صفعةً على وجهي وقلت :

ـ ما هذا الكلام يا سلمى ؟ نحن أصدقاء بالطبع ، هل لديك شكٌّ في ذلك ؟

ـ نعم ، لديَّ شكوك ، وشكوك كثيرة . ألا يفترض بي ذلك ؟

ـ سألتها بصوت مرتعش محاولة النظر في عينيها بتعجب قائلة :

ـ كيف توصلت إلى هذه النتيجة ؟

ـ توصلت إليها بسببك وبسبب تصرفاتك. . . في كل أسبوع تكتبين مواضيع عن أصدقائك وتقرئينها أمام الصف . تتحدثين فيها عن كتب أصدقائك ، وأقلامهم الرصاصية ، وممحاتهم ، ودفاترهم. . . . كما أنك ستكتبين وتقرئين غداً موضوعاً عن

صديقتي شبنم ! الجميع موجود في كتاباتك ، بينما لا يوجد سطر واحد عني . أيُّ صداقة هذه التي تتحدثين عنها !

الحمد لله ! وأخيراً ، لقد عرفت مشكلة سلمى . وحزنت كثيراً ؛ لأنني كنت السبب في ذلك . وبينما كنت أفكِّر في كيفية إرضائها ، تذكرت ما كتبته في الأسبوع الماضي .

وضعتُ يدي على كتفها واقتربت منها أكثر . ثم بدأت أشرح الأمر لها بالتفصيل قائلةً :

ـ يا صديقتي العزيزة ! بالتأكيد أحب جميع أصدقائي ، ولكن لديك مكانة خاصة عندي .

نظرتْ سلمى إلى عيني كأنها تريد أن أفسر لها ذلك . في حين تابعت الشرح ، وأنا أركِّز نظري على المقعد قائلةً :

ـ نحن لسنا أصدقاء فحسب وإنما أصدقاء قلم أيضاً .

وفي هذه المرة لم تتساءل بعينيها ، بل بكلامها قائلةً :

ـ كيف نكون أصدقاءَ قلم ؟

ـ هكذا يا عزيزتي : في الأسبوع الماضي كان لدينا امتحان في مادة الرياضيات . بدأ الامتحان ، ولم يكن لدي قلم . بحثت وسألت الجميع ، ولكن لم يكن لدى أحد منهم قلم إضافي ! وبينما كنت مرتبكة أفكِّر فيما سأفعله سمعت صوت « تشت » . حيث قامت صديقتي في المقعد بكسر قلمها إلى نصفين وأعطتني واحداً منهما . عندها أصبحتْ هذه الصديقة جزءاً من روحي .

بينما كنت أشرح ذلك كانت غيوم الحزن تتلاشى تدريجياً عن وجه سلمى . وعندما وصلت إلى الجملة الأخيرة تفتَّحت أزهار الحب في عينيها . وعلى الفور ذهبت إلى مقعدي وأخرجت ذلك القلم من محفظة أقلامي .

ـ يا عزيزتي سلمى ! حتى وإن أردت النسيان فإن هذا القلم المكسور سيذكرني بصداقتنا دائماً .

شبكنا أيدينا ببعضنا بعضاً بحب وجلسنا هكذا مدة من الزمن . وعند دخول المعلم إلى الصف قرصتُها من خدها مرة أخرى وجلستُ في مكاني .

وفور عودتي إلى المنزل كتبت قصيدة مستخدمةً قلم سلمى . وفكَّرت أن أحضرَ مفاجأة وأقرأَها غداً في درس اللغة التركية أمام جميع طلاب الصف . انتظريني يا صغيرتي المدلَّلة ! أحبك جداً :

زاويتي المزهَّرة

أنت ملاكي الطَّيب

وصديقتي الوحيدة

أنا مواسيك في حزنك

وكاتم أسرارك

عندما تجلسين إلى جانبي

تشعِّين نوراً ،

وفي كل حالاتك

تفتحين باباً للحُبِّ

أنت فرحي وبهجتي

تحت قوس القزح

أنت زاويتي المزهَّرة

التي أروِّح بها عن نفسي

يا فراشتي يا صاحبة السعادة

والقلب الظريف والرقيق ؛

أُحبك جداً

يا صغيرتي المدلَّلة

درسٌ في الحياة

لم أستوعب ما حدث ، متى بدأت ، وكيف انتهت ؟ إذ مضت العطلة الانتصافية ، كأنها طائر يحلِّق بسرعة . ومنذ اليوم الأول والساعة الأولى أصابتنا المدرسة بالإرهاق ، كنا نصعد إلى الحافلة متذمِّرين . ومع تغاضي المعلِّمين عن هذا الوضع قليلاً ، بدؤوا يشرحون لنا بهمس ما عايشوه خلال خمسة عشر يوماً .

بينما كنا في مزاجٍ جيِّد ، كان يوسف يقف بشكل غريب في الزاوية . يلتفت إلينا ثم يعود إلى وضعه كطائرٍ خجول . من هو يوسف ؟ ومن سيكون ؟ إنه التلميذ الجديد الذي جاء إلى صفنا بسبب تعيين والده في المدرسة .

يبدو كأنه سيد محترم : هادئ ، ومرتب ، ومنظم . . . هكذا مظهره من الخارج ، ولكن اللهَ وحدَه يعلم ما في داخله . وهو ما سنتمكَّن من معرفته قريباً . فكما يقول المثل : « زوِّجوا الثوم ، فلم تفح رائحتُه إلا بعد أربعين يوماً » . حسنٌ ، إنكم تتساءلون عما حدث بعد مرور أربعين يوماً !

إنه يوم محاسبة الثوم ، حيث سنعرف قريباً شخصية يوسف الحقيقية .

نعم ، لقد مضى أسبوع على بداية العام الدراسي . واعتدنا على الذهاب إلى المدرسة ، وبدأت رائحة صديقنا يوسف تفوح . انتظروا ، أتمنى أن لا تفهموا قولي هذا بشكل خاطئ . إن يوسف ذو شخصية جميلة من الداخل والخارج . لم يفقد شيئاً من أخلاقه وذوقه طيلة الأسبوع الماضي .

وهو مثقف ويحب المساعدة ، إنه شخص مؤدِّب . ولكنه يملك عيباً واحداً فقط : لا يكف عن الدفاع عن أفكاره إذا كانت معرفته بالموضوع كبيرة . هل يعتبر هذا عيباً ؟ أقول هذا كأنني على علم بما تفكِّرون به . في الواقع ، كنت أفكر هكذا أيضاً ، حتى بداية آخر حصة دراسية اليوم . إذا كنتم تتساءلون عما حدث في الحصة الأخيرة ، فلا تقلقوا ، سأشرح لكم .

كنا ندرس مادة اللغة التركية خلال فترة الاستراحة . وكان موضوع درسنا هو عناصر الجملة . وهي من المواضيع التي أعرفها جيداً . وفي تلك الأثناء جلس يوسف في المقعد الخلفي . يشرح الدرس لسامي الذي يجلس بجانبه ، وأنا أتنصت عليهم وهو يقول :

ـ في جملة « نظر صديقي أمامه » الفعل هو « نظر » ، الفاعل

هو« صديقي » ، و« أمامه » هو ظرف المكان والزمان .

يا إلهي ، لقد بدأ يوسف بالهذيان . إنْ فَهِمَ سامي الموضوع هكذا ستكون قدرته على الكتابة ضعيفة . يجب عليَّ أن أتدخل فوراً . التفتُ إلى الخلف وقلتُ بشكل حازم :

ـ انتظر يا صديقي يوسف ، انتظر قليلاً ! إنكَ تشرح لسامي معلومات خاطئة ، تابعت الشرح دون أن أسمح ليوسف بالكلام . حينما نسأل عن الفاعل ننظر « إلى أين » سندرك أن هناك مفعولاً به غير صريح ؛ مما يعني أن كلمة « إلى الأمام » هي مفعول به غير صريح .

أجاب يوسف بشكل هادئ وحازم :

ـ إن المنطلق الذي انطلقتِ منه صحيح ، ولكن النتيجة التي توصَّلتِ إليها خاطئة يا صديقتي جيرين . يوجد استثناءٌ هنا .

قاطعت كلامَ يوسف وقلت :

ـ لِيبارك اللهُ استثناءاتك تلك ! إن الاستثناء يكون في الحالات الخاصة ؛ ولكننا نقوم بشرح درس الآن . إن صيغتي صحيحة ، الجواب « إلى أين » هو مفعول به غير صريح .

ـ دعيني أشرح لك . وفي تلك الأثناء دخل المعلم إلى الصف .

وتابعنا النقاش دون أن نلفت انتباه المعلم . ولكنه لم يتأخَّر عن

إدراك ما يحدث ، فقال بأسلوب قليل الحدَّة :

ـ ماذا يحدث هناك يا أطفال ؟

أجبته باندفاع :

ـ يا معلمي ، أقول : إن الإجابة عن السؤال « إلى أين » هي مفعول به غير صريح . ولكن صديقي يوسف لا يوافق على ذلك .

نظر المعلم إلينا وقال :

ـ ما تقولينه صحيح ، ولكن يجب علينا أن نستمع إلى يوسف .

اعترضت مرة أخرى ؛ لأنني أفهم القاعدة جيداً :

ـ ولكن يا معلمي ، إذا كان ما قلته صحيح ، فلماذا يجب علينا أن نستمع إلى ما سيقوله يوسف ؟

ابتسم المعلم بشكل لطيف وقال :

ـ يجب علينا ذلك يا عزيزتي جيرين. . . استمعتُ إليك أولاً والآن سأستمع إلى يوسف . ولكن من الممكن أن تختلف الحقائق حسب وجهة نظركِ وتركيب الجملة .

أخرج المعلم من جيبه قطعة نقود معدنية ، وطلب منا القدوم إلى جانبه . عندما وقفنا وجهاً لوجه ، أمسك المعلم قطعة النقود بشكل عمودي وسألَنا :

ـ طرة أو نقش ؟

أجبته باندفاع مرة أخرى :

ـ نقش .

قال يوسف بارتباك :

ـ طرة .

عمَّ الصمت في الصف . ثم قام المعلم بإظهار طرفي العملة المعدنية ، وقال لنا :

ـ ليكن هذا درساً في الحياة لكما . إن الحقائق قد تختلف حسبما تنظرون إليها . اتفقنا ؟

أجاب تلاميذ الصف بصوت واحد :

ـ اتفقنا يا معلِّمي !

نظر المعلم إليَّ بنظرات لطيفة وقال :

ـ هل اتفقنا يا عزيزتي جيرين ؟

أجبته بقليل من الاضطراب :

ـ اتفقنا يا معلِّمي .

ثم نظر المعلم إلى يوسف وقال :

ـ أريد أن أسمع القاعدة منك يا عزيزي يوسف .

كتب يوسف الجملة على السبورة ، وهي « نظر صديقي أمامه » .

ثم بدأ بتوضيح عناصر الجملة :

ـ « نظر » فعل ، و« صديقي » فاعل ، و« أمامه » ظرف مكان وزمان يا معلمي . . . .

قلتُ باندفاع مرة أخرى :

ـ إن « أمامه » هو مفعول به غير صريح ، أليس كذلك يا معلِّمي ؟

أجاب المعلم بأسلوب جَدِّي :

ـ انتظري قليلاً يا عزيزتي جيرين ! لو كانت الكلمة « إلى الأمام » ، لكان ما تقولينه صحيح . لكن عندما لا يكون هناك حرف جر تصبح ظرف مكان وزمان .

احمرَّ وجهي خَجَلاً ، وازدادت ضربات قلبي ، وحاولت تدارك الأمر قائلة :

ـ أشكرك يا معلِّمي على إيضاح ذلك وأشكر يوسف ؛ لأنه كان سبباً في فهمي للأمر .

بعدها ذهبت إلى الجلوس في مكاني .

قال يوسف محافظاً على أدبه :

ـ لقد أتاحت لي الفرصة من أجل معرفة الحقيقة عندما بدأت النقاش . ولكن لو لم تقومي بالاعتراض ، لما شاركنا هذه المعلومة مع الجميع . لهذا السبب أريد أن أشكرك وأن أشكر معلمي .

قال المعلم مبتسماً :

ـ يمكننا العودة إلى موضوعنا الأساسي طالما قد حُلَّت المشكلة . افتحوا كتبكم ، وبدأ المعلم بشرح الدرس .

* * *

يدٌ واحدة لا تصفِّق

آه يا كوراي آه ! لماذا أخاف منك ؟ لقد سئمت ذلك ! بسببك لا أستطيع الاستماع للدرس بشكل صائب . تارة تشد شعري من الخلف ، وتارة أخرى ترمي قطع المِمحاة على شعري . ولا سيَّما خلال الامتحانات الكتابية تظل تنكز وتنكز كتفي بالقلم ! على كل حال ، لا أودُّ أن أشتمه فهو صديقي أولاً وأخيراً .

سيكون هناك امتحان في مادة الرياضيات اليوم . وبالطبع سأحصل على أدنى العلامات مرة أخرى . وسيسألني الجميع :

ـ كم أخذتِ في الامتحان يا جيرين ؟

وسأجيب في حالة تردُّد وإحراج مجدداً : ـ العلامة نفسها .

لماذا أخاف من الرياضيات يا أصدقاء ؟ هل أنا فتاة غبية ؟ بالطبع لا ، بل متفوِّقة في جميع دروسي . ولكن لا أستطيع النجاح في مادة الرياضيات بأيِّ شكل من الأشكال ، أو بالأحرى لا أفهمها .

إن قلت عن المعلِّم أنه لا يشرح جيداً ، سيكون ذلك إجحافاً

بحقّه . لماذا ؟ لأنه إذا كان معلمنا لا يشرح الدرس جيداً ينبغي أن ينال الجميع علامات متدنية مثلي . ولكن الأمر ليس كذلك ! فالجميع يحصل على علامات عالية .

عندها انتابني الخوف . فقد صحَّح معلمنا أوراق الامتحان . كانت النتيجة معروفة بالنسبة إليَّ ! ولكن الحمد لله أن جرس الاستراحة أنقذني وخلَّصني من ذلك الكابوس . حيث ركض جميع الأصدقاء إلى الخارج ، وبقيت أنا داخل الصف حزينة بائسة .

في تلك الأثناء استعدت وعيي وسمعت صوتاً ينادي :

ـ جيرين .

إنه صوت كوراي . رددت عليه بغضب :

ـ ما الأمر ؟ يا مصدر إزعاجي .

قال كوراي بأسلوب رقيق :

ـ أنا أفهمك يا جيرين .

ـ كيف تفهمني ؟

ـ أفهمك ، وأفهمك جيداً أيضاً . هيا قولي لي ، مَنْ يعرف أكثر معنى السقوط من أعلى السطح ؟

يبدو أن كوراي بدأ بالهذيان مرة أخرى ، ومن أجل التخلُّص منه قلت :

ـ من خاض تجربة السقوط وحده مَنْ يعرف .

ـ لقد أصبتِ عين الصواب ! والآن حصلتِ على أدنى العلامات في مادة الرياضيات !

ـ نعم .

ـ أنا أيضاً أُعاني من المشكلة نفسها في مادة اللغة التركية .

حينما سمعتُ كلامه هذا شعرت بالهدوء قليلاً ، ثم تابع كوراي حديثه قائلاً :

ـ ما أودُّ قوله هو ، أنتِ ستعلِّميني اللغة التركية ، وأنا سأعلِّمك الرياضيات . . . كيف ذلك ؟

فوجئت عندها ، وفكَّرت « سيكون ذلك جيداً مع أنني ما رأيت منك خيراً قط » ، لكنني لم أستطع قول ذلك . ثم واصل كوراي كلامه بوعي ونضوج لم أعهده منه وقال :

ـ انظري يا أختي جيرين ! قال أجدادنا سابقاً : « اليد الواحدة تغسل الأخرى واليدان تغسلان الوجه » .

قاطعت كلامه على الفور قائلةً :

ـ نعم ، قالوا أيضاً : « اليد الواحدة لا تصفِّق ، بل بحاجة إلى يدٍ أخرى » .

قال كوراي بحماس :

ـ حسنٌ إذن لنكمل نواقص بعضنا بعضاً ، ونُري الجميع كيفية الحصول على درجات أفضل !

لم يستوعب عقلي كلام كوراي ، ولكننا أخذنا نجتمع خلال عطلة نهاية الأسبوع مرَّة في منزل عائلته ومرة في منزلنا . وبدأنا الدراسة ، ساعةً يدرسني فيها مادة الرياضيات ، وساعةً أخرى أدرسه فيها اللغة التركية. . . ولا وقت للعب ، نأكل الفواكه ونمضي أوقات جميلة. . . كما كان أفراد عائلاتنا ممتنُّون جداً لهذا الأمر .

ما الذي حصل أخيراً ؟ تكرَّر الأمر كالمعتاد ، وتحوَّل عبيد الجد والاجتهاد إلى سادة النجاح. . . وفي أول امتحان كتابيٍّ حصل كلانا على أعلى الدرجات . وما الذي حصل أيضاً ؟ ألم تفهموا بعد ؟ كلما واجهنا الصعاب أسرعنا لمساعدة بعضنا بعضاً .

كان الجميع سعداء بهذا التغيير ، خاصة شِعري الجميل ! لماذا ؟ لأنه استراح من الشد أو رمي قطع المِمحاة عليه كل دقيقة . وأنا أيضاً تنفَّست الصعداء وأخذت أردِّد الأغنية التالية :

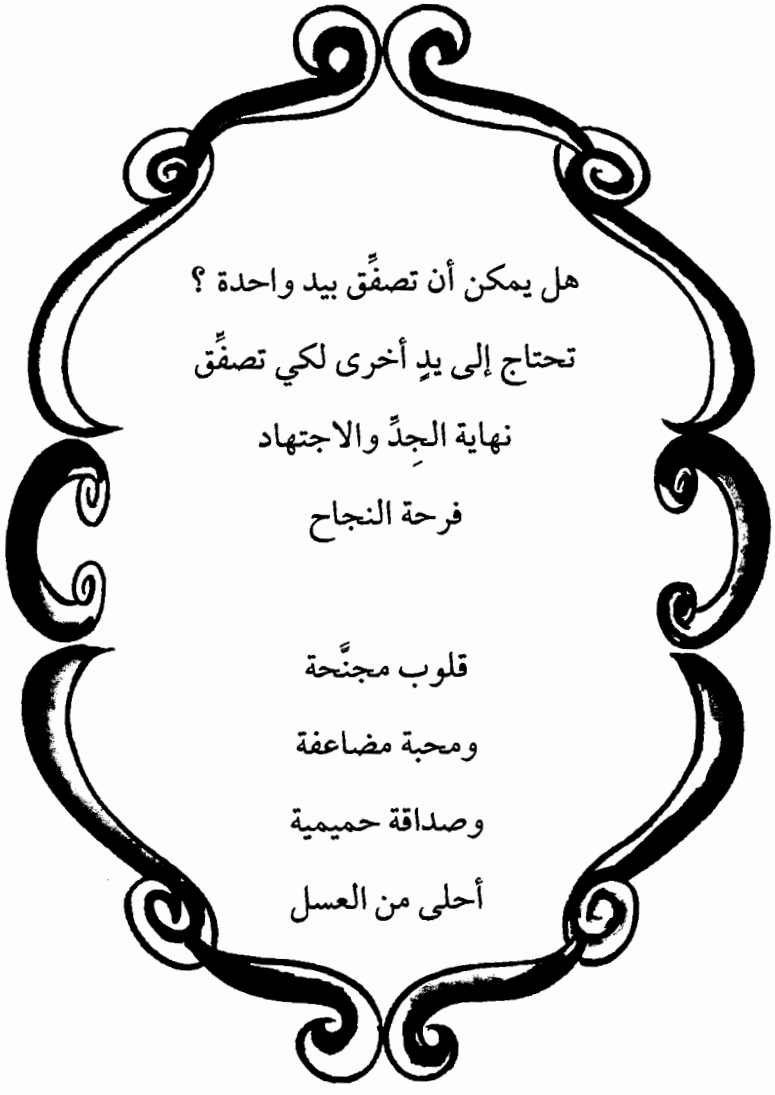

هل يمكن أن تصفِّق بيد واحدة ؟

تحتاج إلى يدٍ أخرى لكي تصفِّق

نهاية الجِدِّ والاجتهاد

فرحة النجاح

قلوب مجنَّحة

ومحبة مضاعفة

وصداقة حميمية

أحلى من العسل

حقيقة أم خيال ؟

لا أستطيع بأي شكل من الأشكال حل لغز الطالب يوسف . إنه أمر مستحيل ! لا يوجد إنسان جيد هكذا . كان عليه تغيير مظهره وأسلوب تعامله بعدما اتضح مدى سعة معرفته أثناء درس اللغة التركية . أليس كذلك ؟ لقد ظهر تفوُّقه خلال مدة قصيرة عند قدومه إلى صفٍّ دراسي جديد . كان من حقِّه التصرف بتكبُّر وغرور . لكنه لم يتصرف هكذا ! إذن لماذا يتصرف هذا الطفل بهذه الطريقة ؟

كلا ، كلا ! يجب علينا أن لا ننسى قول والدتي : « زوِّجوا الثوم ، فلم تفحْ رائحته إلا بعد أربعين يوماً » . لننتظر مرور بعض الوقت ، ربَّما تفوح رائحته . هل تعتقدون أن ذلك لن يحدث ، أنا أعتقد أنها ستفوح فلننتظر قليلاً !

نعم ، استمرت روائح يوسف تفوح ، ولكن جميعها كانت روائح جميلة . البارحة ، كان هناك امتحان في الرياضيات .

ولولا وجود المِمحاة لما استطعنا الإجابة على الأسئلة الصعبة التي سألها معلم الرياضيات أطال اللهُ عُمُرَه .

كنا نكتب ونكتب ونمحو . بدأ الامتحان ، ولكن كان هناك شيء مفقود . عندما أدركت النقص الذي لديَّ صرخت قائلة :

ـ يا إلهي ! ليس لدي مِمحاة .

عندها مَدَّ يوسف يده ووضع نصف مِمحاة على مقعدي . نظرت إليه مندهشةً ، لقد قام بشطر مِمحاته إلى نصفين معطياً إياي نصفها .

يا إلهي ! هل كان كلام والدتي غير صحيح ، أم أن هذا الطفل مخطئ أو ربَّما هو شخص جيد جداً ؟ لننتظر قليلاً أيضاً . ربَّما يوسف ليس فصَّ ثوم ، إنما إنسان . هل يمكن ذلك ؟ نعم ، يمكن . لا أعرف ما رأيكم به ، ولكنني بدأت أؤمن أنه شخص جيد .

إن هذا الطفل مختلف ! كأنه قد جاء من الجنة . كما أنه لا يأكل لوحده . فقد اشترى البارحة قطعة شوكولا وقام بمشاركتها معنا جميعاً . وبالكاد بقي له شيئاً منها . حينها أشفقت عليه فلم آخذ منه أية قطعة . وبذلك استطاع أن يأكل قطعةً من الشوكولا .

على كل حال ، لن أطيل الكلام أكثر عن موضوع يوسف . وسأخبركم بما جرى صباحاً ، وبعدها احكموا أنتم بأنفسكم : بينما كنت أقف في الطابور ، اقترب مني يوسف بشكل خجول . قلت في نفسي : « ها هو سيبدأ بالتفاخر بما حَدَثَ في درس اللغة التركية » .

وعند اقترابه مني ، احمرَّ وجهه خجلاً وقال :

ـ أنا آسف يا جيرين .

أجبتُ دون اكتراث :

ـ لا داعي للاعتذار ، لقد كنتَ على حقٍّ . وبفضلك تعلَّمْنا معلومة جديدة لم نكن نعرفها سابقاً .

تابع يوسف كلامه قلقاً :

ـ كلا ، لا أقصد ذلك الموضوع ؛ إنما أريد أن أعتذر منك عن موضوع آخر .

بينما استمرت حالة الدهشة عندي ، أكمل يوسفُ كلامه :

ـ أقصد ! لقد رأيت في حلمي البارحة أننا نتشاجر وقد كنت مُخطئاً . ولهذا أعتذر لأنني ظلمتك في حلمي .

عندها تلاشت جميع شكوكي ، وأحكامي السابقة . يا إلهي ! يا له من طفل لطيف ومهذب ! لقد جاء للاعتذار منِّي عن خطأ قام به في حلمه ! لقد أجلستُ يوسفَ الجميل ذا القلب الذي يشبه الحلم على عرش قلعة الصداقة الموجودة في قلبي ، أو بالأحرى عزيزي يوسف .

* * *

أعتذر يا نسرين

أتعلمون أيها الأصدقاء الأعزاء ؟ أنا مثلكم تماماً أحبُّ جميع أصدقائي ؛ خاصة أولئك الذين يتكلَّمون بكثرة ، والجيدين والطَّيبين منهم . كما أحب كلام الكتب التي أقرؤها والمقاعد التي أجلس عليها والزهور التي أستنشقها كثيراً .

ستقولون الآن ، ما الذي فَعَلْتِهِ يا جيرين ! ليس لديَّ ما أقوله إن كنتم تتساءلون عن وجود كائنات أخرى يمكنها الكلام غير الإنسان . في الواقع ، إن ذلك مرتبط بنا ؛ إذا قلنا : إنهم يتكلَّمون فيمكنهم ذلك ، أما إذا لم نقل ، فلن يفعلوا ذلك . على كل حال ، لقد تعرَّفنا عليكم للتوِّ ، لذلك علينا أن لا نتجادل على الفور ؟

كانت نسرين أكثر أصدقائي ثرثرة . هي فتاة ذكية ، كثيرة الحركة ، لا ينطفئ الاحمرار الجميل من وجنتيها . أحبُّ كثيراً ركوب الدراجات معها . خاصة ذلك الشعور الجميل عندما نركب دراجتنا ونمشي بجانب بعضنا بعضاً ذاهبين إلى المدرسة في أيام الربيع .

لم تكن صديقتي نسرين على ما يُرام اليوم ؛ لأنها تركت دراجتها عند الميكانيكي من أجل إصلاحها بعد أن كُسر محور العجلة الخلفية . بناء على ذلك اضطررت للذهاب إلى المدرسة بمفردي . في استراحة الغداء ، ركضنا معاً إلى قاعة الطعام . ولكن نسرين تناولت طعامها بسرعة وذهبت إلى الخارج . وعند انتهائي من تناول الطعام غسلت يديَّ وخرجت أيضاً إلى الحديقة . سيعجبكم ما رأيته ؟ هل تقوم نسرين بجولة على دراجتي ؟

عندها تبادر إلى ذهني أنها قد تكسر محور عجلة دراجتي بسبب جسدها الممتلئ قليلاً . وبالتالي قد تُخرِّب نسرين دراجتي مثلما خرَّبت دراجتها . لهذا ركضت وراءَها بغضب ، وقلت لها بعدما دفعتها :

ـ لماذا تركبين دراجتي من دون إذن ؟

فقدت نسرين توازنها وسقطت على الأرض . الحمدُ لله لم يحدث شيء أكثر من ذلك . إذ انسلخ جلد ساعدها اليمين فقط . أردت أن أساعدها بالنهوض ، ولكنها هذه المرة هي التي دفعتني . ونظرت إليَّ نظرة غضب وعيناها ممتلئتان بالدموع . . . ثم نهضتْ بمفردها وابتعدتْ عني بسرعة .

في المساء عندما عدت إلى المنزل لم أستطع أبداً مسامحة نفسي

قالت الكرة :

ـ هكذا ابتسمي قليلاً . ولكن من الآن فصاعداً انتبهي إلى تصرفاتك تجاه أصدقائك . تذكَّري ذلك دائماً .

ـ انتظري قليلاً ! وهل تعلمين ما هي الصداقة ، تتحدَّثين كأنك خبيرة بذلك أيتها الكرة المطاطية الذكية ؟

ـ ويحك ! ونحن أيضاً درسنا في مدرسة كرة السلة . أتظنين أن لديَّ عدداً قليلاً من الأصدقاء ؟! هناك الشبكة ، والأحذية الرياضية والساحات الإسمنتية . . . وتذكَّري أيضاً أن الصداقة تشبه كرة السلة إلى حدٍّ ما .

ـ ماذا يعني ذلك يا صديقتي الحكيمة !

ـ هذا يعني ، أنني لا أشعر بالحزن عندما ترميني من مكانٍ إلى آخر ، ولن أنكسر إن ضربْتِني بالحائط ؛ ولكن . . .

ـ لماذا ستحزنين أيتها الكرة المطاطية الذكية ؟ ؟

ـ لكن إن وخزتِني بالإبرة سأنفث الهواء ، ويتجهَّم وجهي وأغضب منك .

ـ ماذا إذن ؟

ـ يا عزيزتي جيرين ، المقصود هو : عليك معرفة ما يحبُّه

أصدقاؤك وما يكرهونه . وستشاركينهم الأشياء التي تملكينها . وتعتذرين حينما تُخطئين بحقهم عن غير قصد .

في البداية كنت أسخر من كلام الكرة ، ولكن عندما استمعتُ إليها بدقة بدأت أعجب بها . وبعد أن داعبتها ورَبَتُّ عليها بيديَّ قلت لها :

ـ أحبك كثيراً أيتها الكرة الذكية ، ثم بدأت أرميها في الهواء وأمسك بها .

بعد قليل أخذت دراجتي وذهبت مباشرةً إلى منزل عائلة نسرين . وضعتُ الدراجة أمام الباب ، ثم قرعت الجرس وابتعدت عن المكان بسرعة .

* * *

والدي العزيز

أُحبُّ والديَّ كثيراً . ولا أستطيع تخيل المنزل من دونهما . إذا سألتم : « أيهما أُحِبُّ أكثر أمي أم أبي ؟ » ، سيكون جوابي كلاهما . . . وكما يقول أبي دائماً : « أدعو يا قراجا أوغلان أدعو ، إن الحجر ثقيلٌ في مكان سقوطه فقط » .

عندما قال « ثقيل » تبادر إلى ذهني على الفور أن والدي رجل وقور جداً . هو لا يتكلَّم كثيراً ، ولكنه يعبِّر عن رأيه عندما يحين الوقت المناسب لذلك . ولهذا أنا معجبة به . . . لن أقول : إنه يقدم آراءً مختلفة ، ولكنه يتصرف في بعض الأحيان بطريقة مختلفة للغاية . كيف ؟ سأخبركم بذلك أيها الأصدقاء الأعزاء ، ثم احكموا بأنفسكم .

افتتحت المدارس . كانت الكتب المدرسية موجودة على مقاعدنا عند دخولنا إلى الصف . وفي نهاية الأسبوع أُعِدَّتْ قائمة طويلة بأسماء الكتب المساعدة التي يحتاجها المعلِّمون . حسنٌ دعونا ندرس الكتب المدرسية المقررة ، ولكن ما الحاجة إلى الكتب

المساعدة يا أخي ؟ هل تظنون أننا مثل خيول السباق ؟ تضعون على ظهرنا الكثير من الكتب ، وتريدون منا الركض ! يا له من عار .

إنهم يتخذون من أحصنة السباق التي أعرفها مطية يمتطيها فرسان ضعاف .

على كلٍّ حال سأتحدث عن والدي . قال لي :

ـ حسنٌ يا ابنتي ، سنشتري الكتب غداً من المكتبات في منطقة بيازيد .

وبموجب هذا سأذهب معه إلى منطقة السلطان أحمد وآيا صوفيا . أليس ذلك رائعاً ؟

كان الطقس ماطراً قليلاً . . . وقد فتح والدي مظلته ، ولكنني لم أفتح مظلتي . كانت غايتي أن أتأبط ذراعه تحت المظلة نفسها . وبالطبع سيفهم والدي رغبتي هذه دون أن أقولها . وقد تأبطت ذراعه وتشبثتُ به جيداً .

قال لي :

ـ ما أجمل المطر جعلها الله أمطار رحمة وبركة ، كم سيكون رائعاً لو أنها تُمطر على الدوام رويداً رويداً ، ولكن إن غضبت وعصفت ينبغي الخوف والحذر منها .

وحين خَفَّ المطر أغلق والدي المظلة وأضاف قائلاً :

ـ لا داعي للهروب من رحمة الله . . . لا بأس إذا نزل المطر علينا قليلاً وحلَّت علينا البركة .

تابعنا السير وقطرات المطر تتقاطر علينا . فلتهطل لا مشكلة ، فقد ارتدينا ملابس سميكة في جميع الأحوال !

وبعد نزهة جميلة وصلنا أخيراً إلى محطة قطار الأنفاق ، وقد اقترب موعد وصوله . لحسن حظِّنا أننا وجدنا مكاناً نجلس فيه . وانطلقنا ندردش في حديث بين أب وابنته . وكنت أقهقه مستمتعةً بينما تصدر سكك القطار صوت طقطقة . واستمر الحال على هذا المنوال على امتداد محطتين متتاليتين . وعند وصولنا إلى المحطة الثالثة ، صعد رجل عجوز إلى عربة القطار . فأخذ والدي يَرْبُتُ على كتفي مشيراً إلى العمِّ العجوز وقال :

ـ هيا يا ابنتي جيرين افسحي المجال لعمِّك حتى يجلس ؟

لم يكن إفساح المجال وإعطاؤه مكاني أمراً مهماً ، ولكن عما قريب سيصبح القطار مزدحماً جداً وسيستغرق طريقنا نصف ساعة للوصول . كما أنني أود الجلوس مع والدي . آه منك يا أبي ، أوف ! حدثتُ نفسي بكل ذلك ، ثم نهضتُ وأعطيتُ مكاني للعمِّ العجوز . وجلس الرجل في مكاني الجميل وهو يشكرني . وعند

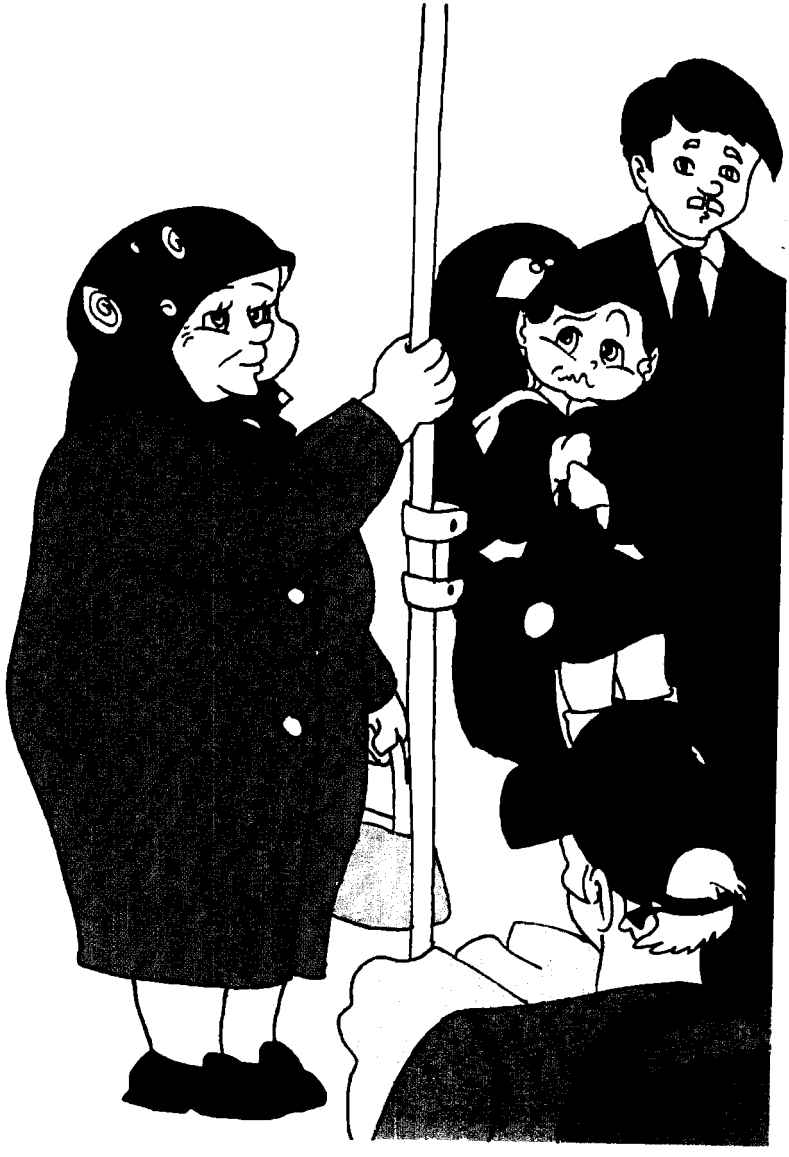

كل محطة كنت أراقب العم ، وأفكر إذا نزل سأجلس إلى جانب والدي مرة أخرى .

بعد عشر دقائق نزل الرجل ، فجلستُ على الفور إلى جانب والدي العزيز . لكن فرحتي لم تدم طويلاً ، وفي هذه المرة صعدت امرأة مسنَّة إلى القطار . ومجدداً رَبَتَ والدي على كتفي وقال :

ـ هيا يا جيرين الجميلة افسحي المجال للسيدة ؟

إذا كان المجال يفسح إلى جميع السيدات للجلوس ، فلماذا لا يجلسني أحد مكانه ؟ وبالطبع قلت ذلك في نفسي أيضاً ، وعلى الفور أعطيتها مكاني . ثم نهض والدي من مكانه في المحطة التالية . وبينما كنت أفكِّر في سبب قيامه بذلك قال لأحد الأشخاص من نفس عمره :

ـ تفضَّل يا سيد اجلس قليلاً .

وتمسك كلانا بأحد الأماكن داخل القطار وتابعنا الطريق . كان الفضول يأكلني . وأخيراً سألتُ :

ـ لماذا نهضتَ وجعلتَ ذلك الرجل يجلس مكانك يا والدي العزيز ؟ كما أنه ليس طاعناً جداً في السن .

أخذ يمسح رأسي بعطف ، ثم بدأ يشرح بصوت أبويٍّ لطيف وحنون قائلاً :

ـ يا عزيزتي جيرين ! لقد دفعت أنا وذاك الرجل الأجرة نفسها من أجل هذه الرحلة . وقد جلست مدة نصف ساعة ، ألن يكون من الأفضل لو جلس قليلاً أيضاً ؟

كما قلت للتوِّ إن والدي لديه أفكار رائعة ومختلفة أيضاً ! ولا يحتفظ بها في عقله فقط ، بل تنعكس على تصرفاته أيضاً . انظروا إلى هذا المنطق ! لقد دفع كلاهما الأجرة نفسها ، وبالتالي يتوجَّب عليه إفساح المجال لشخص آخر للجلوس !

ثم قلت له :

ـ يا والدي العزيز ، ما من أحد سواك يفعل أمراً كهذا .

ضحك مبتهجاً وقال :

ـ ألن يكون رائعاً أن يفعل الجميع هذا يا جيرين ؟

ـ نعم يا والدي العزيز ، ولكن لا أحد يفعل أمراً كهذا ، ولن يفعلوا .

ـ حسنٌ ! بما أن الجميع لا يتصرفون هكذا يتوجَّب علينا القيام بذلك . وإلا لن نكون أفضل منهم ؟

لم أستطع الإجابة عليه ، وتابعتُ الرحلة مستمعةً إلى صوت دقَّات قلبي والطقطقات العذبة للقطار . ماذا يقول قلبي يا تُرى ؟

ـ إن والدك مختلف ، ولكنه محقٌّ جداً يا جيرين . . . هيا إن أباً كهذا يجب تقبيله من وجنتيه .

استمعت إلى صوت قلبي يا أصدقاء ! وقلت : « يا والدي العزيز ! » وقبَّلْته من وجنتيه ، قُبْلةً قوية أيضاً دون أن يفهم ما يحدث . عندها التفت الركاب ينظرون إلينا بابتسامة جميلة . ثم عانقت والدي بشدة ، وهو عانقني أيضاً . . . وبين أصوات طقطقة سكك القطار دعوت من أعماق قلبي : « يا ربِّ لك الحمد والشكر ؛ لأنك وهبتني مثل هذين الأبوين ! اللهم أطلْ في عُمُرِ أمي وأبي !

وعندما عدت إلى المنزل فتحت دفتر أشعاري ، وكتبت فيه قصيدة جديدة لوالدي وهي :

والدي البطل

والدي الشجاع

عملتَ ليل نهار

سابقتَ الزمن

وأخيراً أعياك التعب

لا أراك اللهُ مكروهاً !

وقفتُك مثل الأسد

وقلبُك مثل حديقة ورود

وحياتُك مثل ملحمة أسطورية

والدي البطل

والدي الشجاع

لا أراك اللهُ مكروهاً !

تذلَّل للمولى

ورفعَ رأسه إلى السماء

وقفَ ورائي كالجبال

والدي البطل

والدي الشجاع

لا أراك اللهُ مكروهاً يا والدي !

* * *

صداقة مع الكتب

ما أجمل الذهاب إلى المدرسة ، واكتساب معلومات جديدة ، واللعب مع الأصدقاء كل يوم ! كل شيء جميل لولا وجود الامتحانات . . . لقد وصلنا بالسلامة إلى نهاية الفصل الدراسي الأول . ولكن بدء الامتحانات الكتابية التي سنجريها خلال أيام جَثَمَ كالكابوس على صدورنا . أتمنى أن لا تتساءلوا عما إذا كنت أخاف من الامتحانات أم لا . ولِمَ عليَّ أن أخاف ؟ إنما الامتحانات يجب أن تخاف مني ! إنني أستمع بدقة إلى المعلِّمين وأتابع دروسي يومياً .

ولكن . . . نعم ، لديَّ مشكلة واحدة فقط أيها الناس ! هناك ما يشغل بالي . . . هل تتساءلون عما أتحدث ؟ إنني أتحدث عن شوله صديقتي في المقعد . . . هي فتاة جميلة وظريفة ذاتُ شعرٍ أشقرَ ووجهٍ وقلبٍ أبيضَ . عندما تبتسم تظهر على خدودها غمازات أيضاً . إنني أعشق غمازاتها تلك ، أعشقها ! إذن ما هي المشكلة ، أُدرك أن هذا ما تفكِّرون به .

أيها الناس ، إن تلك الفتاة الجميلة تنال علامات أعلى مني في الامتحانات . تنجح بفارق ٥ـ ١٠ علامات أعلى . ومهما اجتهدتُ فلا يتغيَّر ذلك . إننا نستمع إلى الدرس معاً ، ونشرح لبعضنا بعضاً عن الأمور التي لم نستوعبها . وعندما يستصعب علينا حل مسألة ما نسأل أساتذتنا . ولكن النتيجة لا تتغيَّر ، في كل مرة نتجاوز الامتحانات بعلامات أعلى . . . هذه هي مشكلتي . إنني أفكِّر طويلاً بكيفية التفوُّق على شوله .

وبعد عودتي إلى المنزل تناولت طعام والدتي الشهي الذي تعدُّه دائماً ، وجلست إلى طاولة الدراسة . فتحت كتابي ؛ نظرت إلى الكتاب وهو نظر إليَّ . ثم بدأت بالدراسة على الرغم من تفكيري المستمر بشوله . بعد قليل ، قامت والدتي بإحضار الفواكه . وعندما رأتني والدتي أجلس بهدوء شاردة الذهن سألتْني على الفور :

ـ ماذا حدث يا جيرين ؟ لماذا أنتِ شاردة الذهن ؟

ـ لم يحدث شيء . وبالطبع ستصرُّ على ذلك مهما قلتُ لها .

ـ كلا ، كلا ! هناك ما يشغل بالك . أخبريني ما الأمر لترتاحي يا عزيزتي . . . .

إن أمي تقول الحقيقة . المشكلة هي أنني لا أعبِّر عما في

داخلي . ولكن إن لم أشرح لها الأمر فمن سيستمعُ لي ؟ بدأت بشرح أمر شوله وقلقي من الوضع ، فقالت والدتي :

ـ انتظري قليلاً يا جيرين ، هل تغارين من شوله ؟ إن كان هذا ما تفعليه فإنه أمر خاطئ جداً . إن الله أعطى كل عبد ذكاءً مختلفاً . مثلما لديك ما هو ليس لدى بقية الناس ، فهناك من يملك ما لا تملكينه .

ـ ولكن يا أمي ، إن هذه الفتاة تتفوَّق عليَّ في كل مرة ! أريد أن أتفوَّق عليها ولو مرة واحدة .

قالت أمي :

ـ حسنٌ ، إن شعورك هذا طبيعي . . . إنك تغارين منها من دون حسد . من الممكن أن تدرسي وتجتهدي أكثر ؛ مما يجعلك تتفوَّقي عليها ، ولكن الأهم أن لا تحسديها . . .

إن ما تقوله والدتي صحيح . إن قمت بالدراسة أكثر يمكنني أن أصل لدرجتها ويمكنني أن أتجاوزها . ولكن كيف ؟ يمكن أن يكون ما قالته والدتي عن كون شوله أكثر ذكاءً مني أمر صحيح ! أو يمكن أن يكون لديها طريقة سرية للدراسة ! نعم ، على الأرجح لديها طريقة مختلفة للدراسة ، ويجب عليَّ أن أعرف ما هي . سوف أقوم بوضع خطة ، ثم سأطلب الإذن من والدتي للقيام بها .

ـ أمي ، لديَّ امتحان رياضيات بعد يومين . هل يمكنني البقاء مع شوله هذه الليلة ؟ أعتقد أننا إذا درسنا معاً سننال علامات عالية .

سأحاول إقناع والدتي ، حتى وإن كان ذلك صعباً . الحمدُ لله ! سأقوم بالدراسة مع شوله ، وسأعلم ما هو سرها .

وبعد تناول العشاء بدأت بالدراسة مع شوله . وكنت أتابعها بدقة . كلا ، مستحيل ! إنها تقوم بالدراسة بنفس طريقتي . يا إلهي ! إن هذه الفتاة لا تملك طريقة مختلفة ! على كل الأحوال ، سنقوم بالدراسة حتى نتعب ونذهب إلى النوم . استلقيت على السرير ، ولكن لم تقم بإطفاء الضوء . أثار ذلك فضولي فسألتها عن ذلك :

ـ ألن تقومي بإطفاء الضوء ؟

ـ سأقوم بإطفائه بعد قليل يا عزيزتي . إنني لا أنام حتى أقرأ خمسين صفحة كل يوم من أحد الكتب . تصبحين على خير يا جيرين !

بعد قليل ، استغرقتُ في النوم .

مضتِ الأيام والأسابيع على تلك الحالة ، ولم أستطع معرفة سِرِّ تفوُّق شوله .

وفي يوم من الأيام قالت معلمة اللغة التركية :

ـ سيأتي شاعر إلى مدرستنا . وسيلقي كلمة تحت عنوان « كن صديقاً للكتاب » .

إن كنتم تتساءلون عما حدث في ذلك اليوم ، فدعوني أشرح لكم ما جرى . . . دخلنا إلى قاعة المحاضرات متذمِّرين . حيث سيخرج أحد الأشخاص إلى المسرح كالمعتاد ، وسيتحدث ويصيبنا بالنعاس . لذلك ذهبنا بتوقُّعاتنا تلك ، ولكن الشاعر جعلنا نشعر بالخجل . حيث قام بإلقاء شِعرٍ جميل جداً ، كما ازداد عدد الحاضرين .

مضى الوقت سريعاً . وأنا أقول ، الحمدُ لله أننا حضرنا هذا اللقاء .

وبعد فترة وجيزة ، سأل الشاعر معلم اللغة التركية :

ـ أيها المعلم القدير ! لديك تلميذتان ، تتمتع كل منهما بالذكاء نفسه . وكلاهما تدرسان ساعةً في اليوم . ولكن إحداهما تقوم بقراءة خمسين صفحة في اليوم . إذن كيف سيكون الفرق بينهما ؟

ـ أولاً ، ستتغيَّر وتتحسن بشكل إيجابي في أسلوب الكلام والكتابة ، حتى في تصرفاتها . وتتفوَّق في دروس الأدب .

ـ حسنٌ أيها المعلم ! ولكن هل هناك فائدة من قراءة الكتاب بالنسبة إلى دروس الرياضيات والفن ؟

ـ نعم ، لها فائدة ؛ لأن من يفهم السؤال كأنه قد وصل إلى الحل

ـ بعد سماع هذا الجواب ، حلّق ذهني بعيداً عن هذا البرنامج وهذه الندوة ، وعدتُ إلى تلك الليلة التي أمضيتها في منزل شوله ، وتذكرت ما قالته آنذاك : « إنني لا أنام حتى أقرأ خمسين صفحة » حسنٌ يا شوله ، حسنٌ ! لقد عرفت سِرَّك الآن . لنلتقِ إذاً في الامتحانات الكتابية في الفصل الثاني .

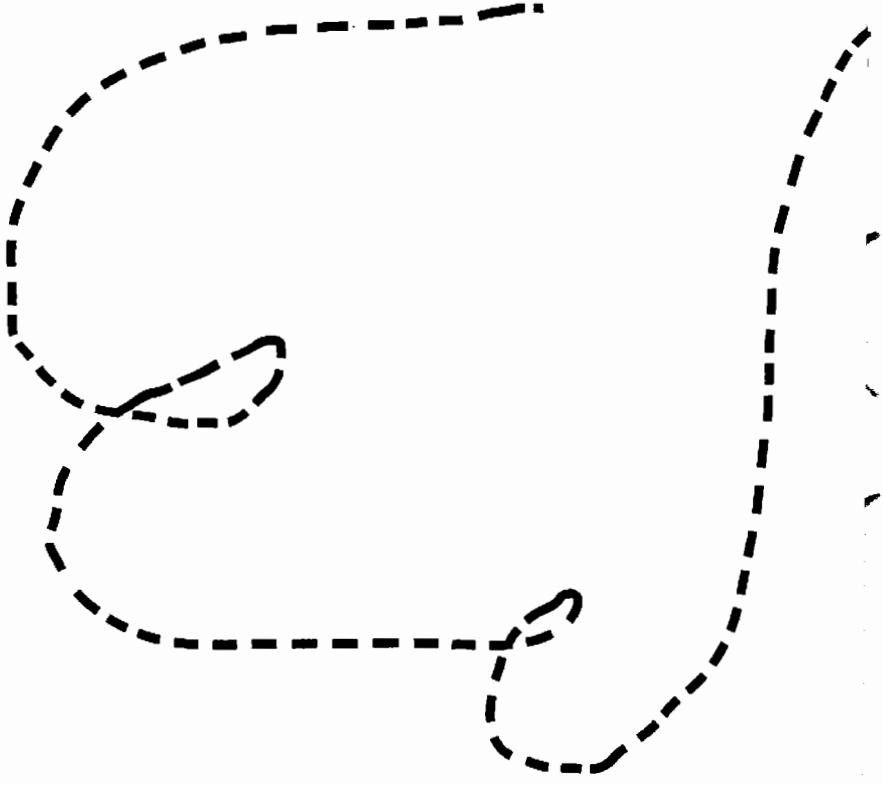

منذ ذلك اليوم بدأتُ أقرأ كلَّ ليلة ستين صفحة على الأقل .

يا كتبي العزيزة ، أُحبُّكم جداً ، وأُحبُّ صديقتي شوله أيضاً . . .

أين الشِّعر الذي كتبته عن الكتب ؟ قد وضعته تحت وسادتي بالتأكيد . تفضلوا بقراءته يا أعزائي .

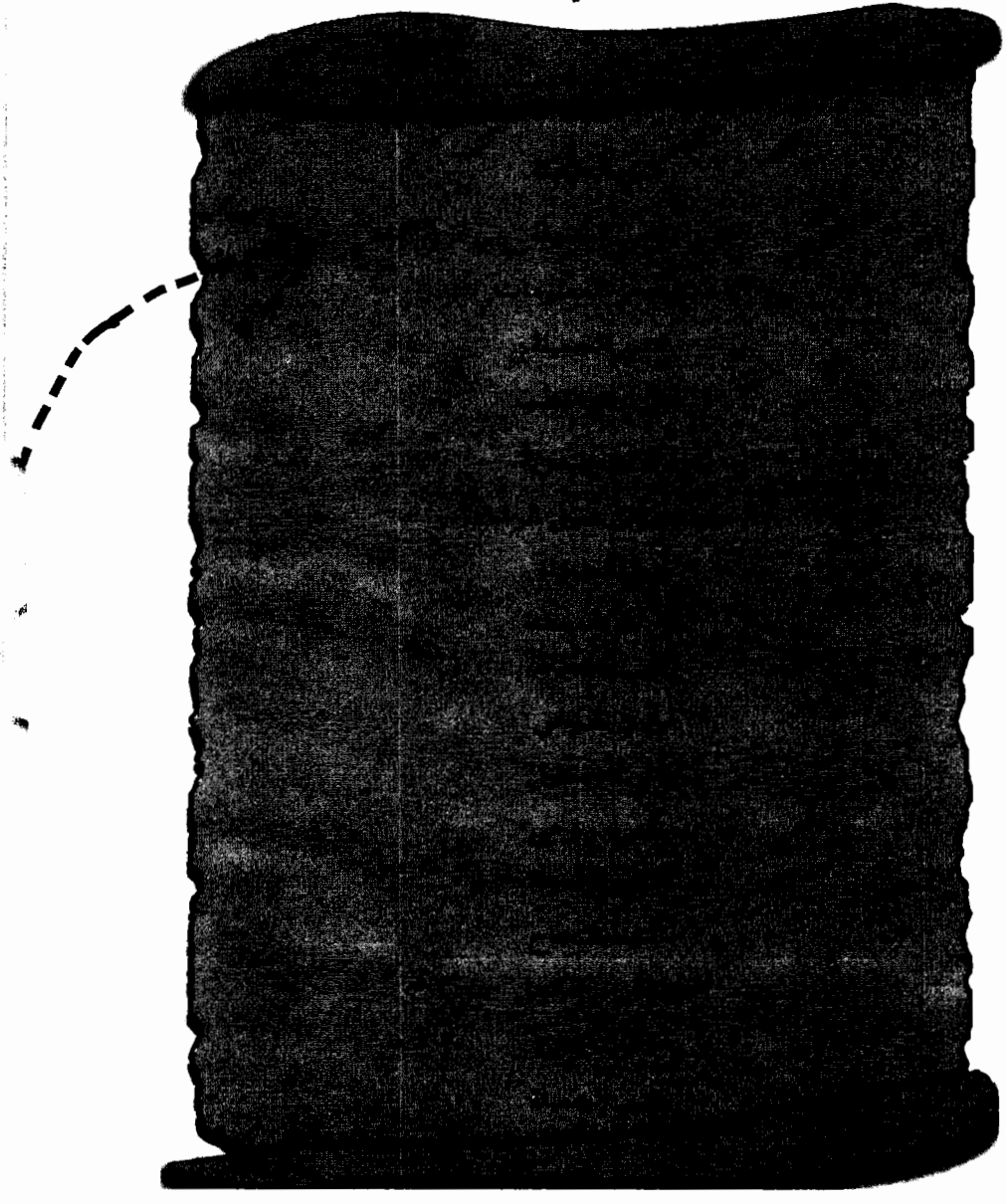

كرسي المتحرك/٥

أمي لا تعرفني/١٧

صديقتي شجرة الكينا/٢١

جلاءاتي المدرسية الحبوبة/٢٨

الدُعسوقة/٣٢

أعتذر يا صديق/٤١

هدية عيد المعلم/٤٧

رحلة إلى بحر الأرقام/٥٥

المظلة الكرزية/٦٢

صديقتي السبورة/٧١

سارق الزمن/٧٧

صديقتي الملاك الأبيض / ٨٣

صديقي النهر / ٨٩

صديقي ٢٣ نيسان / ٩٦

أعياد زهرة الحب / ١٠١

صغيرتي المدلّلة / ١٠٧

درس في الحياة / ١١٣

يدٌ واحدة لا تصفّق / ١٢٢

حقيقة أم خيال ؟ / ١٢٨

أعتذر يا نسرين / ١٣٢

والدي العزيز / ١٣٨

صداقة مع الكتب / ١٤٧